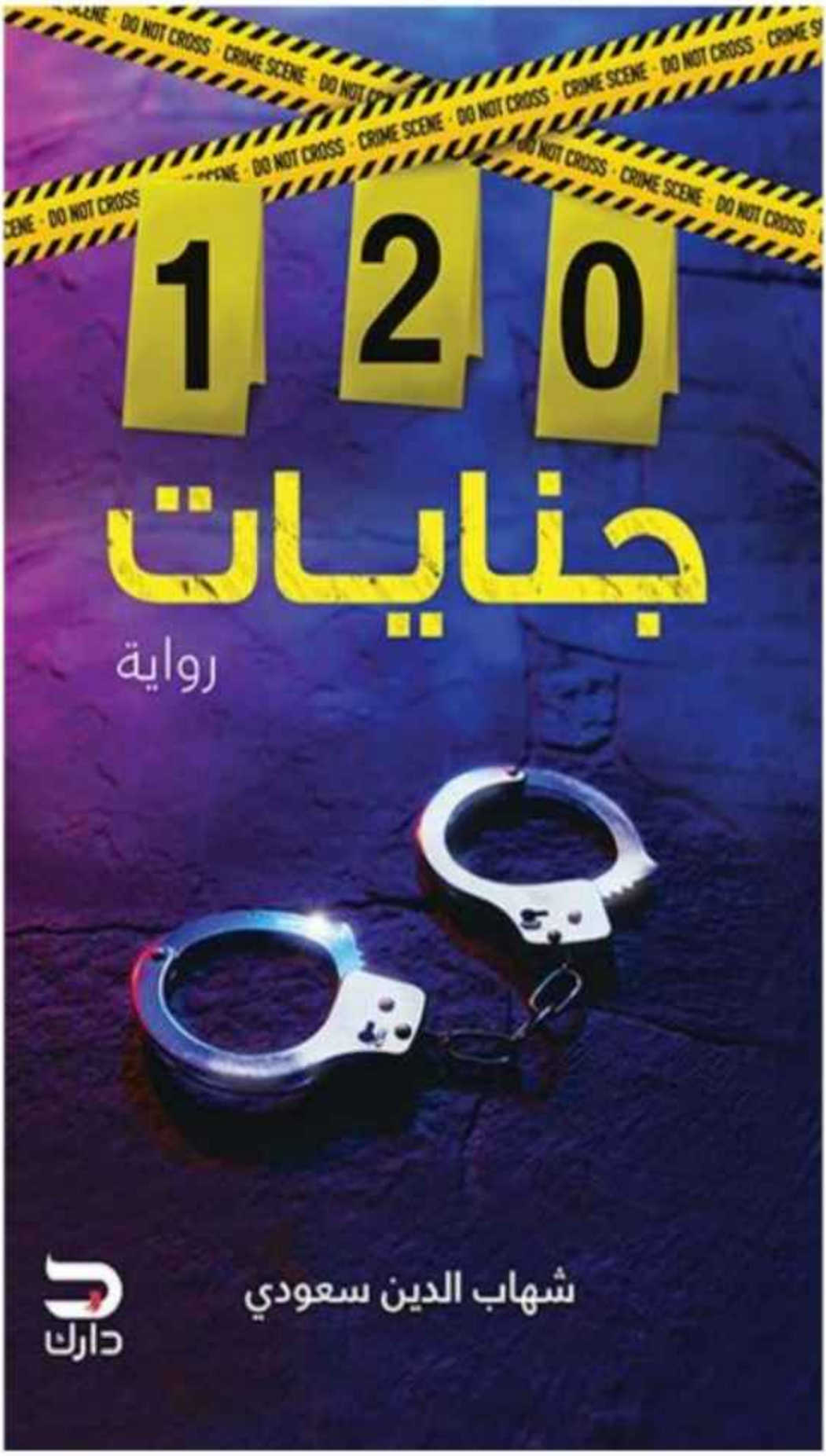
DO NOT CROSS · CRIME SCENE · DO NOT CROSS
120
جنايات
رواية
شهاب الدين سعودي
دارك

@ART_OF_BOOK

رواية جنايات 120 الجزء الأول

شهاب الدين سعودي

أُقدِمُ استقالتي لأنّي أشعرُ بالفشل لأولِ مرة، كلّ ما أعرفه عن تلك القضية أن السارق استطاع أن يقطع كلّ الخيوط من خلفه والقاتل قُتل، والاثنان اللذان اختفيا في نفس الوقت ليس لهما علاقة بالجريمة.
ثلاثة أعوام وأنا أحققُ وأبحثُ وأواصلُ عملي ليلًا ونهارًا، أصبحتُ أرى المجرم في كلّ الوجوه، أستمع إلى خطواته داخل المتحف وصوت أنفاسه قُرب الصندوق الزجاجي، أتمنى أن يوفق الله زملائي في حلّ هذا اللغز.

«ياسر عز الدين

طريق الإسكندرية مطروح الصحراوي

القاتل المحترف هو مَن لم يترك أثر وراءه، أما القاتل الذكي هو من يترك أثرًا وراءه متعمدًا ولا يستطيع أحد أن يجد دليل إدانته.

توقفت سيارات الشرطة بشكل مصفوف جانب الطريق ليخرج (عمران) من سيارته متأملًا الجثث الثلاث المُلقاة أرضًا وخلفهم سياراتِهم الخاصة. بدأ يقترب من الجثة الأولى وجلس دون أن تلمس ركبتيه الأرض فكشف الغطاء عن وجهها حتى شاهد جرحًا عميقًا في يمين الرقبة كأنه طُعِن بسكين حاد، ثم كشف الغطاء عن الآخر ليرى ثقبًا في منتصف جبينه يدل على إطلاق النار عليه، ثم تقدم إلى الثالث فلم يجد شيئًا برأسه، أزاح الغطاء كله مشاهدًا ثقبًا واسعًا في منتصف بطنه نتيجة إطلاق أكثر من رصاصة عن قُرب في مكانٍ واحدٍ.

ترك البقعة كلها مستندًا إلى سيارته كي يدع فرقة البحث الجنائي تمارس عملها. أخرج علبة سجائره وأشعل واحدة ولكنه أحس بشيء ملتصق بحذائه من الأسفل، ظلَّ يحكه بالأرض الصلبة حتى ينظفه.. وبالفعل نجح فأصبح ملتصقًا بالأرض، وتابع تأمله للمكان فات مساعده وفي يده بطاقات هوية الجثث مُتحدِثًا:

- الأول اسمه (حمدي فؤاد أحمد) والثاني....

قاطعه (عمران) مشيرًا له بالصمت، قائلًا بغضب:

- احتفظ بهم الآن وسوف أطّلع عليهم في مكتبي.

اعتذر الرجل ذاهبًا إلى السيارة وقد انتهت فرقة البحث من فحص كل شيء، وطلبت من رجال الإسعاف حملهم داخل السيارة ليخلوا مكان الحادث، بدأت السيارات تتحرك و (عمران) في مكانه يأخذ نفسًا عميقًا من سيجارته متأملًا الطريق، ثم نظر في ساعته فوجدها التاسعة صباحًا ودلف بعدها إلى السيارة وراغ إلى السائق كي ينطلق، أخرج هاتفه وطلب مديره واضعًا الهاتف على أذنه حتى قُبلت مكالمته:

- قمنا بإخلاء المكان، وسيارة الإسعاف في طريقها إلى المشرحة بالجثث أوامرك يا افندم.
- المديرية منقلبة رأسًا على عقب يا (عمران) بسبب تلك الحادثة، ولا بدُّ أن نرسل التقرير كاملًا خلال أربع وعشرين ساعة سيادة الوزير -نفسه- مهتم بها.
- حسنًا، لدي ما أكتبه، سوف أنتظر فقط تقرير البحث الجنائي والطب الشرعي، وعلى كلّ حال أنا في الطريق إلى سيادتك.

انتهى (عمران) وألقى بالهاتف أمامه متذكرًا الجرح الذي تسبب في وفاة الرجل وتساءل لماذا لم يُقتل بالرصاص مثل الآخرين، ما تلك الأداة الغريبة التي تسببت في تمزقِ رقبته بهذا الشكل، أغمض عينيه محاولًا مشاهدة الجريمة أثناء حدوثها، تلك الجريمة نفذها أكثر من شخص لا يمكن لشخص واحدٍ أن يقتل ثلاثة، على كل حال سنعلم كلّ شيء خلال ساعات.

تنهد بقوة وفتح عينيه حتى وجد أن السيارة توقفت أمام باب المخفر.

***

(1)

كلما نظر لتلك اللوحة الموضوعة أمامه على الحائط تطارده الذكريات، لقد أصبح رقم (120) بمثابة كلمة مرور ماضيه الأسود رغمًا عنه كتبه أمامه في عدة لوحات وقام بتعليقهم على كل جدران منزله كأنه يعاقب نفسه وعقله الذي فشل وخذله للمرة الأولى وكانت الأخيرة، نهض متوجهًا نحو الطاولة ممسكًا بزجاجة الخمر مرتشفًا منها بشراهة قائلًا بصوت منخفض:

- ما الذي حدث لك يا ياسر؟! هل ستموت قهرًا أم ستعيش غائبًا عن الوعي؟!

**

لا تكن كسائقِ القطار الذي إذا أعطى إنذارًا للمشاة يسبونه لأنه تسبب في الإزعاج، وإن لم يعطِ إنذارًا محاولًا تجنب شتائمهم يسبونه أيضًا لأنه ربما بمروره في صمت يقتلُ أحدهم؛ افعل ما ترغبه نفسك ولا تلتفت أقوالٌ كان يرددها (آدم) لنفسه وهو مستلقٍ على فراشه متذكرًا ما حدث في الصباح...

توقف أمام المرآة وظل يصفف شعره البني الناعم، ثم نفث العطر وقام بضبط رابطة عنقه وجثا على ركبتيه مخاطبًا كليه الذي يقف بجواره ينتظره:

- هيًا يا صديقي سوف نتحرك الآن، افتح فمك لأضع لك قطعة العلكة التي تحبها.

انتهى وهو يمضغ علكته ويضع للكلب واحدة مثله، ونهض مترجلًا في الممر، فتح الباب وغادر فخرج الكلب خلفه ثم

أغلقه من الخارج حامِلًا بروازًا كبيرًا يحتوي على صورة كلبه الأسود الأمريكيّ، مخفيًا بذلك أيّ علامة واضحة تدل على وجود بابٍ في هذا الحائط الأبيض، تحرك في الممر الجديد المؤدي إلى منزله الخارجي وفتح الباب متوجهًا إلى الحديقة ومنها إلى سيارته والكلب بجواره، وانطلق. قام بغلق كل النوافذ الزجاجية وفتح شاشة التتبع ليرى الهدف قد اقترب من الكيلو أربعةٍ وخمسين بالطريق الصحراوي، ضغط على زرٍ آخر مستمعًا إلى مكالمة تَحدث بين سائق السيارة القادمة إليه وبين سيده.

- أين أنتم الآن؟

- لا زلنا في الطريق أمامنا عشر دقائق فقط ونصل إلى المكان المحدد.

- اقتلوه بمجرد حصولكم على القطعتين هذا الشاب مثل الفتيات يهتمُ بمظهرهِ فقط، اجعلوا قَتلهُ هادئًا لا يلفت الانتباه.

انتهت المكالمة فابتسم (آدم) وهو يغلق الجهاز، ثم أمسك بحقيبة كانت خلفه في السيارة وأخذ منها مقبضين حديديين وقام بتركيبهما في قَدَميّ الكلب الأماميتين، وتَحدَّث إليه بصوتٍ منخفض:

- يبدو أن هذا اللقاء سيكون ممتعًا للغاية.

ضغط على دواسةِ الوقود بقوة لتزداد سرعة سيارته، ثم نظر في ساعته فوجدها السابعة صباحًا، ونظر أمامه مرة أخرى حتى وقعت عيناه على يافطة الطريق التي تحمل رقم الكيلو خمسةٍ وخمسين فهدأ سرعة سيارته وتوقف جانبًا موازيًا

للطريق، خرج من سيارته دون كلبه مرتديًا نظارته الشمسية وتوقف أمام انعكاسه على جسم السيارة اللامع وقام بتصفيف شعره للوراء بأصابعه وهو مُنحَنٍ للأمام، ثم اعتدل وأدخل القميص جيدًا بيديه، باصقًا العلكة أرضًا مخرجًا غيرها من جيبه ليقوم بمضغها، تحرك أمام السيارة وهو ينظر في ساعته فوجدها السابعة وعشر دقائق حتى استمع إلى محرك سيارة تقترب من خلفه حتى توقفت أمام سيارته، استدار وهو يسحب نظارته بيده إلى أسفل حتى ينظر إليهم بطرف عينيه فخرج رجلان أياديهما فارغة، طوال القامة، لديهما جسد عريض وملامح جادة، ثم خرج الثالث مقتربًا من (آدم) متحدثًا:

- أين القطعتان؟!

ترقب (آدم) حوله وهو يسأله بدهشة:

- أنا؟ هل تسألني أنا حقًّا؟!

عقد الرجل حاجبيه حتى أصبح أمامه مباشرة، متسائلًا:

- هل أنت (آدم)؟!

أومأ برأسه وهو يتبسم بلا مبالاة ليزفر الرجل وهو يسأله مرة أخرى:

- إذًا أين القطعتان اللتان أرسلت لي صورة لهما واتفقت معي على بيعهما؟!

نظر (آدم) إلى أسفل وهو يضع سبابته على شفتيه كأنه يفكر ثم نظر إليه قائلًا:

- يبدو أنني نسيتهما في المنزل.

قبل أن يصيح الرجل، عانقه (آدم) بقوة ليأخذه ساترًا من أسلحة الرجلين الذَين يقفان خلفه مخرجًا مسدسه مطلقًا رصاصة في جبين واحد منهما والآخر يحاول التصويب عليه ولكن ظهر رئيسه هو الذي يتصدر فلم يجد حلًا غير التراجع، ولكنه وجد الكلب ينقضّ عليه من الخلف ويغرس مقبضيه في رقبته ليسقط غارقًا في دمائه، لم يبقَ غير الرجل الذي يحتضنه (آدم) فعانقه أكثر وهو يقبّله من رقبته هامسًا في أذنه:

- كنت أتمنى أن تبلغ سيدك بما فعلته بكما ولكنك ستلحق بمعاونيك.

انتهى وهو يفرغ الطلقات كلها في منتصف بطنه ثم دفعه أرضًا عائدًا إلى سيارته منحنيًا برأسه ليرى انعكاسه وهو يصفف شعره بأصابعه مرة أخرى، ووضع سلاحه في خصره راكبًا سيارته والكلب بجواره وأنطلق.

**

يجلس (ياسر) أمام التلفاز مشاهدًا إحدى القنوات الإخبارية التي كانت تعلن عن مقتل ثلاثة أشخاص على الطريق الصحراوي أحدهما مسجل خطر والاثنان الآخران أحدهما كان مُتَّهمًا بسرقة سيارة، والآخر تم القبض عليه مسبقًا في قضية مخدرات، ولم يستدل على القاتل حتى الآن.

ظلَّ يضحك بصحب، ثم أمسك بزجاجة الخمر وصبَّ كأسًا محتسيًا إياه دفعة واحدة وهو يواصل ضحكاته العالية المصحوبة بسعال من أثر كثرة التدخين، ثم نهض وهو يمشي في الغرفة وفي

يده الكأس مرددًا بصوتٍ عالٍ:

- ولن تجدوه كما حدث من قبل.

ظل جسده يترنح واقترب من الشاشة منحنيًا برأسه حتى وضع شفتيه جوار أُذن المذيع، وأردف بصوت هادئ:

- أخبرهم أن تلك الجرائم كلَّها مغلقة لا داعي لبذل الجهد، طالما القاتل يعلم بكل الطرق التي تجعل الشرطة تصل إليه من خلالها سوف يقوم بإغلاقها فور انتهائه بعدها اختل توازنه وسقط أرضًا، لتأتي ابنته مهرولة إليه صارخة.

- أبي، ماذا حدث؟!

أمسكت بيده كي تساعده على النهوض حتى تمكنت منه وجعلته مستندًا عليها، ثم توجهت به إلى الفراش ليريح ظهره ناظرًا إلى أعلى والدموع تنهمر على وجنتيه جلست ابنته إلى جواره واضعة رأسها على صدره باكية حزنًا على ما أصابه، من يصدق أن هذا الرجل السكران هو نفسه (ياسر عز الدين) مفتش المباحث الذي استطاع الكشف عن أصعب الجرائم التي حدثت، ظلت الفتاة تبكي فوضع يده على رأسها متحدثًا إليها بندم:

- أنا آسف يا ابنتي لم أقصد أبدًا أن تشاهدي أباكِ في تلك الحالة، ولكنني متعب، متعب منذ عشر سنوات حينها كان عمرك خمسة عشر عامًا، توفيت أمك قبل أن تلد غيرك حتى حدثت الجريمة المشؤومة.

رفعت الفتاة رأسها وهي تمسح الدموع متسائلة:

- سرقة المتحف؟!

أومأ برأسه لتعتدل ابنته وهي تبتسم متحدثة بحماسة:

- أبي، احكِ لي عن تلك الجريمة التي قدَّمت استقالتك بسببها.

تبسم (ياسر) هامسًا لها:

- موافق لكن بشرط!

- على أتم استعدادي لتلبية شروطك يا افندم.

- أريدُ فنجانًا من القهوة السادة، وسوف أنتظرك في الشرفة.

تبسمت له ابتسامة واسعة وهي تضع قُبلة على جبينه ونهضت لتعد له مطلبه.

**

دلف (آدم) إلى منزله والكلب أمامه ثم أغلق الباب بإحكام متوجهًا إلى الممر متوقفًا أمام البرواز الضخم، أمسك به ووضعه جانبه وبيديه الاثنتين ضغط على الحائط من أعلى مرتين، ومن أسفل ثلاث مراتٍ حتى فُتح له باب دلف من خلاله ليؤدي به إلى المنزل الآخر، أغلق الباب خلفه وهو يشير لكلبه قائلًا:

- أحضر لي جهاز الحاسوب المحمول.

ثم جلس على الكرسي منتظرًا كلبه حتى أتى قابضًا على الحقيبة بفكه ووضعها على الطاولة أمامه، فتح (آدم) الحقيبة وأخرج الجهاز متصفحًا فيه لبعض الملفات، وضع سماعة الرأس وبدأ يستمع إليهم، كانا يتحدثان بصوت منخفض ولكنه واضح ترك التسجيل يعمل ونهض متوقفًا وهو يضحك ساخرًا من حوارهما وكأنهما بتلك الحيلة

يستطيعان الإمساك به والحصول على القطع الأثرية، هؤلاء بعض الرجال لأفراد عصابة أرادوا قتله أيضًا مثل رجال (نبيل) ولكنه استطاع أخذ أسلحتهم وقتل مجموعة من رجالهم ووضع لهم جهاز التجسس كعادته، قاطعه رنين هاتفه ليجد المتصل يطلبه من رقم خاص، وافق على المكالمة ووضع الهاتف على أذنه مستمعًا:

- كيف؟! كيف استطعت أن تقتل رجالي بمفردك؟!

كان الذي يتحدث رجل عجوز من صوته، يسأله بهدوء وكأنه مرهق فأجابه (آدم)

- لأنك رجلٌ غبيّ تحكم على الناس من مظهرهم رغم خبرتك الطويلة.

تنهد الرجل، ثم سعل وتحدث بنفس درجة الصوت

- لقد قتلتَ أهمَّ رَجلٍ من رجالي، هل تظن أنني سوف أغفر لك!

- يقولون «أعلى ما في خيلك اركبه» هل استمعت من قبل لهذا المثل؟!

قالها (آدم) منهيًا المكالمة ثم أشعل سيجارة وظل يفكر قليلًا ثم تحرك بسرعة إلى إحدى الغرف متوجهًا إلى الكومود وفتحه مخرجًا منه لاصقة سوداء، تلك القطعة الصغيرة التي لا يتعدَّى حجمها عِقلة الإصبع تقوم برصد أي تردُّد صوتي يحدث حولها وتحوله إلى صوت مسموع على جهازه عاد بها وهو ينادي:

- (بيل).

أتى كلبه مسرعًا إليه ليتابع:

- هيَّا بنا لدينا مهمة يجب تنفيذها الآن، نبيل الغبي يظن أنه يستطيع أن يأخذ بثأر رجاله منِّي.

قالها وهو يخرج من الشقة كما عاد مترجلًا إلى الخارج، حتى ركبَ سيارته وقفز الكلب من الشباك الخلفي وانطلقا، بدأ يعطي تعليماته لكلبه وهو يقود سيارته و (بيل) يستمع إليه كما عوده قطع الطريق في أقل من عشر دقائق حتى توقف أمام إحدى البنايات فخرج من السيارة مترجلًا بحرص بجوار سور حديقة منزل (نبيل) والكلب خلفة يخطو قليلًا ثم يتوقف جالسًا واضعًا رأسه على الأرض حتى يستمع إن كان هناك خطوات بالداخل أم لا ثم ينهض ويتابع ركضه خلف صاحبه تسلق (آدم) إحدى الأشجار ثم قفز أعلى السور ومنه إلى الحديقة و (بيل) يؤمِّن له المكان من الخارج. ظلَّ (آدم) يتفحص المكان حوله وهو مختبئ حتى اطمأن أن الحارس لن يراه إذا عبر إلى تلك النافذة الجانبية، فركض سريعًا بظهر منحنٍ حتى اختبأ بجوارها، ثم بدأ ينظر من خلف الزجاج فوجد غرفة المكتب خالية لينظر خلفه للمرة الأخيرة ثم دفع النافذة وتسلق إلى الداخل حتى جثا أرضًا بجوار كرسي المكتب فأخرج القطعة من جيبه وقام بلصقها أسفله ونهض عائدًا من نفس النافذة مواصلًا ركضه إلى السور متسلقًا إياه حتى نجح في أن يعود إلى الخارج سالمًا وينظر إلى كلبه وهو يقول بهدوء:

- عظيم يا صديقي عظيم.

**

يسير (عمران) في ممر الطابق الثالث بمديرية أمن القاهرة متجهًا إلى مكتب رئيسه في العمل توقف قليلًا أمام الباب ثم طرقه بلطف ليأذن له بالدخول، تقدَّم بخطوات ثابتة فوجد أحد المخبرين السريين بالداخل ممسكًا بظهره منحنيًا مستندًا على حافة المكتب باليد الأخرى يتوجع من الألم، بينما رئيس المكتب يقف جواره يسأله: «بماذا يشعر؟!» شاركه (عمران) ببعض الأسئلة والفحوصات السريعة حتى بدأ يهدأ وجلس على الكرسي، فأحضر له الضابط كوبًا من الماء قرَّبه من فمه وأخذ يرتشف منه ثم اعتذر ونهض مغادرًا المكتب بسرعة.

ظلا ينظران له بشفقة ورئيسه يوصيه أن يذهب للكشف، وهو يهز رأسه مغلقًا الباب خلفه، جلس (عمران) متنهدًا وعاد رئيس المكتب إلى مقعده ليسأل بحدة:

- أخبرني يا (عمران) أين وصلت بتحرياتك عن مقتل الثلاثة أشخاص؟!

نظر الضابط إلى أسفل مشبكًا أصابعه مجيبًا إياه بهدوء:

- الثلاثة لهم سوابق عندنا أو بمعنى أدق مجرمون الغريب أن أحدهم كان يعمل حارسًا خاصًا لرجل الأعمال المعروف (نبيل العوضي).

تراجع رئيس المباحث عاقدًا حاجبيه متسائلًا:

- إذًا يجب أن تحقق معه في منزله على الأقل.

أومأ (عمران) وهو يجيبه:

- كنت في منزله منذ ساعة، تحدثت معه عن مقتل حارسه ورجلان معه ولم أحصل منه على جديد، كان ردّه أن أنظر

في هاتف القتيل سوف أجد مكالمة دارت بينهما صباحًا قبل مقتله، كان يستعلم منه عن موعد عودته إلى المكتب.

تبسم رئيسه ساخرًا وهو يعقب:

- تعتقد أنه حقًا كان لا يعلم أين هو؟!

هزَّ (عمران) رأسه بالنفي وردَّ:

- لا، إطلاقًا، أنا متأكد أنه أرسله كي يقوم بعمل غير مشروع وتم قتله؛ لذلك طلبت إذنَ النيابة حتى يتم تفريغ السجل وأخذ تسجيل المكالمة من شركة الاتصالات التابعة لها شريحته.

أومأ الآخر منهيًا حديثه وهو ينظر في مكالمته:

- جيد، أخبرني بالجديد، وأنا سوف أبلغ الوزارة بنتيجة التحريات.

نهض (عمران) مقدمًا التحية وغادر المكتب.

**

خلع (آدم) سماعة الرأس وهو يضحك ثم وضع يده على رأس كلبه متحدثًا:

- عظيم يا (بيل)، لقد فعلها (رأفت) سوف أخرج لأستقبله بالشقة الخارجية وأعود إليك.

انتهى مغادرًا الغرفة متجهًا إلى الباب متجاوزًا إياه ويضع البرواز في مكانه متوجهًا إلى باب الشقة الأخرى، ثم فتح الباب قبل أن يطرقه الرجل، وهو يدعوه للدخول قائلًا:

- تفضل يا (رأفت).

حدَّق إليه وهو يدخل عليه سائلًا:

- كيف علمت أنني بالخارج؟

أغلق (آدم) الباب متجهًا إلى الأريكة مسترخيًا عليها متنهدًا وأجابه:

- الكاميرات يا صديقي الكاميرات هي العيون التي نعزز بها حياتنا.

ثم نظر إليه وأردف:

- اجلس يا رجل اجلس.

جلس رأفت) متوجسًا من هدوئه متنهدًا وهو يقول:

- نفذت المطلوب مني هل تريد شيئًا آخر هناك؟!

التقط (آدم) طبق المقرمشات الموضوع على المنضدة، وبدأ يأكل منه متحدثًا بسعادة:

- أخبرني ماذا فعلت، وكيف وضعتها وهم حولك؟!

- دلفت إلى المكتب لأُبلغ رئيسي بإحدى الشكاوى الوهمية ولكني وجدته يتابع حركة يدي ولم أستطع وضعها أسفل المكتب حتى اصطنعت أنني مريض وقمت بلصقها من أسفل.

تقدم بخطوات ثابتة ليجد أحد المخبرين السريين بالداخل ممسكًا بظهره منحنيًا مستندًا على حافة المكتب باليد الأخرى يتوجع من الألم بينما رئيس المكتب يقف جواره يسأله: «بماذا يشعر؟!»

- رائع يا (رأفت) لقد وصلني حديثهما بكل وضوح، انتظر.

قالها (آدم) وهو ينهض مدخلًا يده في جيبه مخرجًا عشرة آلاف جنيهًا وقدمها له متابعًا:

- لقد اتفقت معك على خمسة آلاف، ولكنك أنجزت عملك لذلك ضاعفت المبلغ.

نظر المخبر إلى المال بسرور وقام بأخذهم سريعًا ليحشي بيهم جيوبه، ثم استأذنه وذهب.

ظلَّ (آدم) ينظر له متبسمًا، ثم أخرج هاتفه وطلب رقمًا ما ووضعه على أُذُنه للحظات حتى تحدَّث:

- (نبيل) بك كيف حالك؟!

- مَن أنت؟!

قالها (نبيل) بصوته المبحوح المنخفض ليرد (آدم) بهدوئه المعتاد:

- لقد خذلتني هل قمتَ بحذف رقمي؟! نعم، نسيت أنني أهاتفك من رقم آخر، أنا (آدم) ألا تعرف صوتي؟!

- ماذا تريد؟! لقد أبلغتني أن «أعلى ما في خيلي أركبه» وأنا لا أحب ركوب الخيل ولكني سأجعلك تركب خيلًا من نوع آخر.

ضحك (آدم) ضحكات صاخبة متحدثًا:

- لم أعرف أن قلبك أسود هكذا على كل حالٍ سوف أتفق معك اتفاقًا ويجب أن توافق قبل أن تطلبك الشرطة للتحقيق.

**

منزل خشبي على الشاطئ، مظلمٌ دائمًا، ليس به أثاث كامل غير سرير في منتصف غرفة وطاولة في غرفة أخرى، وصالة تفصل بينهما فارغة تمامًا أرضها من الخشب البني أغلبه احترق بسبب انصهار الشمع عليه، يسكنه رجل لم يتعدَّ عمرُه الأربعين، يُدعى (يعقوب) ذو وجه قمحيّ البشرة، له شارب عريض، ولحية متوسطة الطول تأخذ شكل الهرم المقلوب، قضى عشرين عامًا من عمره في منزل والديه، وتركه بعدها وعمل على إحدى مراكب الصيد الثقيل اختار أن يعيش بمفرده لعدة أسباب؛ أهمها ألا يكرر ما حدث في منزل والديه، كان يعيش بين أسرة مفككة كل شخص يفكر في شأنه فقط، ربما والدته كانت تهتم به وبإخوته، ولكنها توفيت فلم يجد أمامه حلًّا آخر غير الهروب.

كان يتجول أمام منزله ناظرًا للرمال الصفراء التي تبتلعها الأمواج، يرى انعكاس القمر على سطح البحر وكأنه أنيسه الوحيد رغم تظاهره بالقوة إلا أنه يبدي بضعفه كله في تلك اللحظة أخرج هاتفه وطلب شخصًا ما حتى وافق على المكالمة

- كيف حالك يا (يعقوب)؟!

- لست بخير؛ أشعر وكأن حياتي ستنتهي هنا، أخبرني إلى متى سنظل هكذا؟!

- انتظرنا الكثير ولم يبقَ إلا القليل، المهم ألَّا تيأس كما اتفقنا.

تبسم (يعقوب) بحزنٍ مُجيبًا إياه:

- لا أضمن لك أي شيء بعد الآن؛ لقد استنزفت طاقتي صدقني.

صاح فيه الآخر:

- لا تقل ذلك مرة أخرى، سوف نلتقي مجددًا، وأتعهد لك أن أعوضك عن تلك السنوات.
- وعمري الذي يمضي؟ والقيود الذي كبَّلت بها يديَّ؟! هل ترى تعويض لهما؟!
- نعم يا (يعقوب) سوف تعيش حياة كريمة قريبًا جدًّا، الأمر يسير كما نخطط له تمامًا.

(2)

لكلٍ منّا ماضٍ مظلم هو المتحكم الأساسي في حاضره...

**

استيقظ (ياسر) بعد منتصف الليل قلقًا واضطرابًا وليس من أجل موعد محدد مسبقًا، أزاح الغطاء ونهض مقتربًا من نافذة غرفته ناظرًا للمطر الذي كاد أن يحطم زجاجها، ولكنه منظر رائع أيضًا، ربما يكون مرعبًا للبعض ولكن للبعض الآخر صوته ذكريات ورائحته حنين قاتل.

اقترب أكثر وهو يمسك بالمقبض وفتح النافذة مستنشقًا الهواء البارد بصدرٍ رحب، ثم أغمض عينيه ليأخذه الزمن للوراء؛ لأيام شبابه عندما كان أنجح مُحَقِق في الشرطة حتى ظهرت أمامه قضية كانت السبب في تعاسته، لا زال مغمضًا عينيه وأصوات من الماضي تعلو من حوله:

- ياسر كلفتك الإدارة بالتحقيق في قضية سرقة المتحف.

الأمر صعب جدًا، لا بُدّ أنَّ السارق شخصٌ آخر غير هؤلاء الذين اختفوا.

مَن الذي قتل نجيب الراوي وأين جثة ربيع، ومَن الذي قتل فَردَيّ الأمن؟! لا بُدّ أنّ شكري له علاقة بالجريمة.

أنا محقق فاشل، سوف أقدّم استقالتي.

صرخَ (ياسر) وهو يضع يديه على أذنيه متراجعًا للوراء حتى أنت ابنته بفزع وهي تسأل:

- أبي، لمَ أنتَ مستيقظ في هذا الوقت؟!

جلس أبوها على الفراش وجسده يرتعش لتغلق النافذة وتمسك بغطاء وتضعه على كتفيه، ثم تجلس بجواره ناظرة إليه بحسرة، تشعر وكأن أحدهم غرس الخنجر في قلبها كلما شاهدت أباها في صراعه مع ماضيه، مع الوقت لم تَعُد تجد ما تهوّن به عليه فأصبح الصمت بينهما سيد الحديث...

- اذهبي إلى غرفتك يا ابنتي.

قالها أبوها وهو ينظر أرضًا، مجيبة إياه:

- لن أذهب حتى أطمئن عليك، لماذا تتهرب مني كلما سألتك عن القضية التي تسببت في تقديم استقالتك؟!

تبسم أبوها ساخرًا ثم أجابها بصوت منخفض:

- وما الفائدة؟ بعض الأمور في الماضي عندما نتحدث فيها تأكلنا من الداخل لا أكثر!

اعتدلت ابنته وهي تنظر إليه بجمود معلقة:

- بعض الأمور في الماضي تحتاج للتصحيح يا أبي، أعترف أنك استسلمت -فقط- لذلك فشلت.

التفت إليها أبوها وهو ينظر بغضبٍ فتابعت بصوت منكسر:

- آسفة لم أقصد ولكنني مصرة على مطلبي، أرجوك يا أبي احكِ لي ما ينقصني؛ فأنا لا أعلم أكثر من الذي كتب في الصحف.

أومأ (ياسر) متحدثًا:

- سوف أحكي لكِ كل شيء في الصباح.

- تعاهدني أن لا تخلف تلك المرة؟

تبسم وهو ينطق:

- أعاهدك ألا أخلف مرة أخرى.

عانقته بشدة وهي تضحك مرددة:

- أنتَ أعظم أبٍ في الوجود، لا بل أعظم محقق.

**

قبل عشرة أعوام (المتحف الفرعوني بالقاهرة)

يُعَدُ هذا المتحف الوحيد الذي يحتوي على ثلاث قطع أثرية من أندر وأقدم الأنواع القطعة الأولى: مكحلة الملكة، والثانية: مرآة سوداء تعكس الرؤية دون إضاءة، والقطعة الثالثة: تاج الملكة. تستعد هيئة الآثار لنقلهم إلى أحد المتاحف بالخارج بنسبة أرباحٍ عالية من دَخْل المتحف الشهري، ولكن (نجيب الراوي) له رأي آخر؛ وهو سرقتهم وبيعهم بطريقة غير شرعية بالخارج، هو يعلم أن جريمة سرقة كهذه ستقلب الرأي العام كلَّه، ولن تهدأ الشرطة حتى تُعيدَ المسروقات، حلٌ واحدٌ كان الأمثل وهو إغواء مدير المتحف بملايين الجنيهات حتى يسهِّل له الأمر لوضع الخطة.

يسير (شكري) في قاعة المتحف بنظراته الماكرة فهو رجلٌ كبيرٌ في السنِّ أصلع الرأس يدير المتحف منذ عشرين عامًا وسيُحال على المعاش هذا العام، ظلَّ يرمقُ أفرادَ الأمن حتى يطمئن أن كلًّا منهم في مكانه، ثم نظر في ساعته فوجدها الرابعة وخمس دقائق؛ أي متبقٍّ على انتهاء ذروة العمل

خمس وخمسون دقيقة فقط، دلفَ إلى مكتبه كي يرد على الهاتف الذي كان يهتز في يده ليجد المتصل (نجيب الراوي).

- مرحبًا يا (شكري) كيف حالك؟!

- أهلًا يا (نجيب) كيف حالك أنت؟!

- أنا بخير، ما رأيك أن تأتي إليَّ بعد عملك؟!

صمت (شكري) قليلًا فهو يعلم أن هذا الرجل سيتحدث معه في سرقة المتحف كما تحدث معه من قبل، فأجابه:

- اليوم صعبٌ جدًّا لأنني أجهز المنزل لزفاف ابنتي.

ضحك (نجيب) متحدثًا:

يا رجل منزلك ضيق، حفل الزفاف يجب أن يكون في قصرٍ مثل قصري، على أيِّ حالٍ سوف أنتظرك غدًا في الرابعة عصرًا بما أنه يوم الجمعة.

- سوف أرى وأُهاتِفُك.

قالها (شكري) سريعًا وهو ينهي المكالمة، ثم جلس على كرسيه نازعًا نظارته الطبية والتقط منديلًا ورقيًا مجفِّفا جبينه من التعرق حتى أتاه الشيطان وجلس أمامه على المكتب متكئًا هامسًا في عقله:

- بعد عدة أشهر ستصبح قعيدًا عن العمل لا تملك من المال إلا القليل، ستذهب كلّ شهرٍ إلى مكانٍ به أشباهك من المسنين يلتفون في طابور ليس له آخِر ستنتظر دورك تحت درجة حرارة عالية وتأخذ بعض النقود التي لا تكفي ثمنًا لغداءٍ في أحد المطاعم.

زفر (شكري) وهو يشعر بضيق، ثم هزَّ رأسه يمينًا ويسارًا وهو يردِّد:

- لا، لن يصل بي الأمر أن أشارك مُجرِمًا في سرقة شيء.

عاود الشيطان حديثه بطريقة أكثر إقناعًا:

- غبي، ستظل غبيًا حتى تموت، ثم إنّك لن تشارك أحدًا، أنتَ ستقدِّم بعض المساعدة فقط وتأخذ ملايين تستطيع أن تضعهم بجوارك وتأكل منهم أنت وأولادك، ولن ينقص منهم شيء، اتصل بـ (نجيب) قبل أن ينفِّذ خطته برجل غيرك.

نظر (شكري) إلى هاتفه وهو عاقدٌ حاجبيه، ثم أمسكه بتهكم وضغط على زرِّ الاتصال.

**

توقف (سعد) بدراجته النارية أمام إحدى المناطق العشوائية بالقاهرة وتركها مترجلًا نحو أحد العقارات وهو يترقب بحذرٍ حتى توقف أمام بابٍ حديديّ وركله بقدمه لينفتح، وأخرج مسدسه نحو ثلاثة أشخاص كانوا جالسين أمام النرجيلة المدخنة مغلقًا الباب عليهم قائلًا:

- مَن منكم (إبراهيم الحوت)؟!

ظلّ الثلاثة يتبادلون النظرات ساخرين منه، ثم تحدَّث أحدهم وهو ينهض:

- قديمة تلك الطريقة ألقى بسلاحك الصغير حتى لا تموت.

زفر (سعد) غاضبًا، وهو يرد بصوت منخفض:

- حسنًا، أعتقد أنه أنت.

أومأ الرجل والسيجارة في فمه متابعًا (سعد).

- السيد (نجيب) أرسل لكَ تلك الرصاصة معي.

قالها وهو يُطلِق رصاصة واحدة في قلبه ليقع جثة على الأرض انتفض الاثنان الآخران بخوفٍ رافعين أياديهما كعلامة استسلام فوضع (سعد) السلاح جانبه مغادرًا المكان راكبًا دراجته مرتديًا واقي الرأس وانطلق، أخرج هاتفه وهو في الطريق، وطلب أحدهم متحدثًا معه بسماعة الأُذن اللاسلكية:

- تمت العملية سيادتك، إنه الآن يُسأَل.

ضحك (نجيب) وهو يردُّ:

- رائع يا (سعد) لا تدري ما فعله هذا الكلب معي، كان مرشدًا للحكومة وعملَ خادمًا في منزلي لعامين لذلك كان هذا جزاءه.

صمت (سعد) قليلًا، ولم يتحدث فتابع الآخر:

- استعد لتنفيذ عملية مهمة جدًّا، سوف تنفذها قريبًا.

قالها وهو ينهي المكالمة وينظر إلى (شكري) الذي يجلس أمامه في المنزل وينظر أرضًا، لا زال حتى الآن مترددًا بالمشاركة في تلك الجريمة ولكن الشيطان أقنعه في النهاية - فقط - أراد أن يتظاهر بالقوة، نظر إلى (نجيب) متسائلًا:

- قتلت خادمك هكذا؟!

تبسَّم (نجيب) بشاربه العريض وهو يجيبه:

- يعجبني ذكاؤك يا (شكري) على أيّ حالٍ أنا لا أقتل ولا أسرق لدي (سعد) شاب قوي وذكي يفعل كل ما أطلبه منه.

ثم عقد حاجبيه وتابع:

- لماذا تسأل؟!

اعتدل (شكري) وهو يجيبه:

- يوجد رجل من الأرياف يعمل أمن في المتحف ولديه جاره يريد العمل في أي منزل، أعتقد لو نفذت له تلك الخدمة سيسهل علينا الأمر كثيرًا.

ظلَّ (نجيب) يضحك ضحكات صاخبة، ثم وضع قدمًا على الأخرى وهو يرد:

- لا أحد يستطيع تسهيل الأمر علينا غيرك، ومع ذلك لا أمانع أن يأتي جاره للعملِ في منزلي، أبلغه أن يستلم عمله غدًا.

أومأ (شكري) والعرق يتسلل جبينه متحدثًا بصوتٍ منخفض:

- اشرح لي المطلوب مني وسوف أقوم بتنفيذه إن استطعت.

- لا أحتاج منك إلا أن تعطل الكاميرات وجهاز الإنذار - فقط- وتمارس عملك بشكل طبيعي، ولن يكتشف أحد بجريمة السرقة ولن نقتل أحدًا أو ينقص من المتحف أي قطعة.

حدق (شكري) إليه وهو يسأله:

- ما الذي تقوله، أي جريمة سرقة تلك؟!

نهض (نجيب) مُنهِيًا حوارهما:

- غدًا سوف أنتظرك في العاشرة مساءً ونتحدث في كلّ شيء، اليوم أردت أن أطمئن فقط أنك موافق.

أومأ (شكري) مستندًا على الطاولة لينهض أيضًا، وصافحة ثم توجه للخارج عائدًا إلى منزله.

**

بعد سرقة المتحف بساعات

الخامس عشر من يناير سنة 2020، الثامنة صباحًا

أمام باب المتحف الرئيسي تتوقف عربات الشرطة بطريقة مصفوفة وأمامهم سيارات النيابة وفرقة البحث الجنائي وبعض المشاة توقفوا لمشاهدة ما يحدث وربما يقوم بعض الأشخاص بتصوير ذلك المشهد النادر، توقف الطريق تمامًا ووضعوا الحواجز حول السور حتى لا يقترب أحد..

بالداخل يتوقف مفتش المباحث الشهير (ياسر عز الدين) يتفحص الركن الذي انتزع منه السارق القطع الأثرية ويأخذ أنفاسًا متتالية من سيجارته على الجانب الأيسر قُرب النافذة يتواجد أفراد البحث الجنائي لرفع البصمات وأخذ زجاج النافذة المكسور في أكياسٍ شفافة، والنيابة تأخذ أقوال الموظفين كأفراد الأمن والمشرفين الكلُّ يمارس عمله بمنتهى الدقة أما هذا المفتش صامتٌ يتأمل الصندوق الزجاجي المُتَحطِم من أعلى فقط، انتهى من سيجارته وتركها تسقط

أرضًا داهسًا إياها بحذائه ثم التفت رافعًا أحدَ حاجبيه مستمعًا إلى مدير المتحف وهو يتحدث مع وكيل النائب العام وظلَّ ينظر له للحظات، بعدها تبسَّم مقتربًا منه حتى أصبح أمامه وأمسك معصمه قائلًا بهدوءٍ:

- أنت تكذب.

حدق (شكري) إليه، وهو يسأله بثقة مصطنعة:

- مَن أنت لتتحدث معي هكذا، وماذا تقول؟!

ضحك (ياسر) ضحكة قصيرة لتعود ملامحه جادة كما كان، ثم ترك يده وأشعل سيجارة أخرى وأومأ برأسه قائلًا:

- نعم كما سمعت أنت تكذب ولا تقول الحق.

انتهى وهو ينظر إلى ساقيه وهما يرتعشان خوفًا، فسأله بجمودٍ:

- أين التسجيل الخاص بكاميرات المراقبة؟!

- تعطل صباح البارحة ومعي تقرير يثبت أنني أبلغت مسؤول الصيانة المختص ولم يأتِ.

فمه أخذ (ياسر) نفسًا عميقًا آخر، قائلًا بهدوء والدخان يخرج من فمه:

- أريد مشاهدة التسجيل قبل أن تكتشف عطل الكاميرات.

أومأ (شكري) بغضب مشيرًا إليه نحو مكتبه، وتحرَّك بخطواتٍ سريعة حتى دلف إلى الغرفة منتظرًا المفتش حتى أتى، فأغلق عليهم الباب وجلس أمام جهاز الكمبيوتر متصفحًا البرنامج الخاص بكاميرات المراقبة و(ياسر) مستندًا بجواره كي يشاهد ما يصنعه، بتاريخ الرابع عشر من يناير

يظهر السجل كلّه باللون الأسود على شاشة العرض، ظلَّ يتراجع حتى يوم الثالث عشر من يناير تمام الثامنة صباحًا، عندها ظهر الفيديو بوضوح، أخذ (ياسر) فأرة التحكم من يده ومرر الفيديو للأمام حتى ظهر في العاشرة صباحًا باللون الأسود، قام بالرجوع إلى الخلف حتى التاسعة صباحًا لم يتغير شيء؛ لا زال لون الشاشة أسود، قام بالرجوع إلى الساعة الثامنة ونصف حتى بدأ الفيديو يعمل مدّ يده أخذًا كرسيًا وجلس مبتسمًا وهو يردّد بصوت منخفض:

- إذًا ما أبحثُ عنه حدث في تلك النصف ساعة من بين الثمانية ونصف وحتى التاسعة، دعني أشاهد.

ترك الفيديو يعمل وأشعل سيجارة حتى مرت خمس دقائق ولم يحدث شيء، قام بتسريع الفيديو حتى وصل به إلى التاسعة إلا عشرِ دقائق فوجد الرؤية انقطعت وحلّ اللون الأسود مرة ثانية تراجع قليلًا وبدأ يتابع (شكري) في هذا التسجيل حتى وجده يقترب من جهاز تحكم الكاميرات-DVR- وأخرج من جيبه زجاجة وبدأ يسكب بداخله شيئًا لتنقطع الرؤية مرة أخرى، ضحك (ياسر) وهو ينهض قائلًا:

- قل لك إنك تكذب.

ظلَّ (شكري) جالسًا في مكانه ناظرًا إلى أسفل حتى خرج (ياسر) ليطلب من وكيل النائب العام إثبات ما حدث في القضية.

**

أحد مقرات شركات الاتصالات

يجلس (عمران) في مكتب مدير الفرع منتظرًا استخراج تسجيل المكالمة التي دارت بين (نبيل العوضي) ورجله قبل مقتله، طُرق الباب فدلف أحد الموظفين وفي يده ذاكرة محمولة وهو يقول:

- سيدي لقد انتهيت والتسجيل أصبح بالذاكرة.

أشار المدير إليه فاقترب الموظف واضعًا القطعة الإلكترونية على المكتب ثم التقطها الآخر ووضعها بجهاز الكمبيوتر كي يستمعا إلى ما دار بينهما.

- أين أنتَ كل هذا الوقت؟!

كانت البداية بصوت (نبيل) ليردَّ عليه الرجل:

- أنا في طريقي إلى المكتب يا سيدي، أعتذر منك عن التأخير.

- أخبرني ماذا تفعل من الأساس؟!

- لا شيء، لقد توفي أحد أقاربي وذهبتُ لدفنه وأنا الآن عائد.

انتهت المكالمة و (عمران) عاقد حاجبيه، لقد خاب ظنه واكتشف أنه حقًا كان لا يعلم بمهمة رجله، لم يجد رد فعلٍ مناسب إلا أنه نزع الذاكرة من الجهاز وغادر المكتب عائدًا إلى رئيسه.

**

ماذا تريد لقد أبلغتني أن «أعلى ما في خيلي أركبه» وأنا لا أحب ركوب الخيل، ولكني سأجعلك تركب خيلًا من نوع آخر.

ضحك (آدم) ضحكات صاخبة متحدثًا:

- *لم أعرف أن قلبك اسود هكذا، على كلّ حال سوف أتفق معك اتفاقًا، ويجب أن توافق قبل أن تطلبك الشرطة للتحقيق.*

- ماذا تقصد؟!

- نقد وجدوا مكالمة دارت بينك وبين الرجل الذي أرسلته وغدًا سوف يأتون بالتسجيل الخاص بها من شركة الاتصالات.

صمت (نبيل) قليلًا ثم سأله بصوت مرتعش:

- وكيف علمت يا (آدم)؟!

- لا داعي لتلك الأسئلة، إنها مصادري الخاصة.

- ماذا تريد؟!

- أمر بسيط، أريد أن أتعين في إحدى شركاتك كمسؤول مبيعات.

- أنت تمزح هكذا؟!

- لا كما سمعت وخدمة أخرى سوف أخبرك بها بعد أن أخلصك من تلك المكالمة المسجلة وأُبعِدُ الشبهة عنك.

- موافق.

تبسم (آدم) وهو ينهي المكالمة ثم طلب رقمًا آخر على هاتفه وانتظر قليلًا، ليوافق الآخر على المكالمة متحدثًا:

- (آدم) كيف حالك يا صديقي؟!

- أنا بخير ينقصني فقط طلب مقابله خمسون ألفًا.

- يا مرحب بطلباتك يا عزيزي، وأنا في الخدمة.

- سوف أرسل لكَ بعد قليل مكالمة مسجلة بين رجلين وأنتَ ستضعها على ذاكرة، وغدًا سوف يأتي أحد الضباط إلى الفرع الذي تعمل به أعطِه تلك الذاكرة، وقُم بحذفِ المكالمة الحقيقية بعد أن تقوم باستنساخها وإرسالها لي، اتفقنا؟!

صمت قليلًا ثم أجابه:

- اطمئن سوف تجري الأمور كما تريد في انتظار إرسال المكالمة

أنهى (آدم) المكالمة ثم طلب (نبيل) مرة أخرى ليقول له:

- احفظ هذا الكلام جيدًا ثم حدثني به الآن، وحاول ألا يظهر في صوتك أي شيء غريب

(- أين أنتَ كل هذا الوقت؟!)

(3)

من المؤسف أن تعلم حقيقة وجودك بين أبيك وأمك لتكتشف أنك مجرد نتيجة لفعل حدث بينهما أرادا منه المُتعة فقط وليس الإنجاب.

**

ماذا لو جرت الرياح كما تشتهي السفن؟! سؤال يسأله (يعقوب) للبحر وهو مستلقٍ على ظهر قاربه الصغيرة، لقد أتمّ الثلاثين من عمره الليلة عشرة أعوام وهو وحيد حتى إنّه اعتاد على ذلك، كل ما يدور في رأسه عبارة عن خيوط سوداء من الذكريات اللعينة، لا يتذكر يومًا واحدًا تنعم فيه حتى في أيام صباه شاهد إخوته يلعبون، ورغم تقارب الأعمار بينهم كان والده يأبى أن يلعب معهم، دائمًا ما يُذَكّره أنه الابن الأكبر ويجب أن يتحمل المسؤولية منذ أن استطاع التمييز بين الجمر والتمر، حياة قاسية لا يقبلها أحد.

منزل بإحدى القرى عاش وتربى فيه بقوانين صارمة يضعها (توفيق الريحاني)؛ والده، كان رجلًا شديد القسوة، له صوت تهتز منه جدران المنزل، ظل يعمل أعمالًا غير مشروعة لا يعلمها غيره حتى رُزق بـ (يعقوب) حينها توسلت له زوجته أن يبحث عن عمل يجعلهم آمنين وهو استجاب وعمل فرد أمن بالمتحف الفرعوني بالقاهرة، حتى رُزق بمولوده الثاني بعد عامين، والثالث بعد ثلاثة أعوام، بعد فترة قصيرة تحول لرجل آخر له مبادئ لا يتهاون أبدًا فيها كغرفة تحتل آخر المنزل لا يجرؤ أحد على الاقتراب منها حتى زوجته، أصبح شخصًا غامضًا قطع علاقته بكل أهل القرية ما عدا صديقه

(ربيع) رجل يشبهه في الطبع، ولكنه وحيد ليس متزوجًا وليس له أقارب كما يقولون «مقطوع من شجرة» حاول (توفيق) أن يجعله يعمل معه في المتحف ولكن الشروط تقول: «ممنوع اثنان من قرية واحدة أو مدينة واحدة، يعملان في نفس المنشأة».

مرَّ عشرون عامًا على (يعقوب) في منزل والده حتى حدثت الكارثة، توفيت أمه ورفض أبوه أن يتم دفنها بطريقة شرعية أو أن يعلم أحدٌ من الأساس بموتها لأنها توفيت نتيجة ضربه المستمر لها، لذلك قام بدفنها بمفرده وأبناؤه جالسون يبكون في منزلهم لا يستطيعون الخروج، يومان واختفى (توفيق) حتى خرج أبناؤه الثلاثة للبحث عنه فلم يجدوه، وعند عودتهم وجدوا رجال الشرطة مجتمعين أمام الباب، لم يأتوا بأخبارٍ عنه كما ظنّ (يعقوب) بل أبلغوهم أنه لم يذهب لعمله وحدثت جريمة سرقة وهو مطلوب للتحقيق!

**

- وجدتُ أبناءه الثلاثة ينظرون لي بدهشة عندما أبلغتهم أن أباهم مطلوبٌ للتحقيق، وكانوا حقًا لا يعلمون شيئًا فذهبنا وتركنا القرية.

كان (ياسر) يسرد لابنته تفاصيل جريمة السرقة بكل دقة وهي تستمع إليه؛ ربما تجد معه خيطًا جديدًا تُفتَح به القضية مرة أخرى بعد أن حُفِظَت ضد مجهول، فتابع هو:

- وأنا عائدٌ في سيارتي إلى القاهرة، كنت لا أرى سارقًا غير (شكري) مدير المتحف، ولكن يبقى السؤال مَن الذي قتل

(نجيب الراوي) إذا كان اتفق حقًّا معه على تعطيل كاميرات المراقبة؟!

صمت قليلًا رافعًا رأسه إلى سقف الغرفة متبسمًا بحزن وهو يتذكر اعتراف (شكري) في النيابة أنه اتفق مع (نجيب) على سرقة المتحف، ثم تذكَّر لحظة وصوله هو والقوات أمام منزل (نجيب الراوي) خرج من سيارته مترجلًا حتى توقف أمام الباب الحديدي وظلَّ يركله بقدمه ليأتي الحارس مسرعًا من الداخل وهو يقول بصوتٍ عالٍ:

- مَن، مَن أنتم؟!

أشار (ياسر) بيديه الاثنتين حوله وهو يرد:

- ماذا ترى؟! افتح الباب.

انتفض الحارس وهو يُخرج المفاتيح من جيبه وقام بفتح الباب لهم حتى دفع (ياسر) الباب بيده وركض إلى الداخل والقوات خلفه راكلًا الباب الخشبي المؤدي إلى المنزل بقدمه ففتح على مصراعيه مستديرًا برأسه إلى الحارس، وهو يخرج سلاحه متسائلًا:

- هل هو بالداخل؟

أومأ الرجل برأسه ليتقدم (ياسر) بخطوات حريصة ناظرًا في كل اتجاه حتى دلف إلى غرفة المكتب فوجده ميتًا على الأرض والدماء قد نزفت حتى آخر قطرة متجمدٌ جسده.

جثا الضابط على ركبتيه متأملًا ملامحه التي أوشكت على الاختفاء ليتأكد أنه هو، ثم أغمض عينيه غاضبًا مرددًا إلى مساعده الذي يقف خلفه:

- قلت لك إنها قضية سوداء.

ثم نهض وهو يتابع:

- أحضِر لي الحارس بسرعة.

أومأ مساعده وذهب ممسكًا بحارس المنزل وساقه إلى المكتب حتى وقعت عيناه على جثة (نجيب) فسقط مغشيًا عليه.

**

اليوم الأول لـ (آدم) في شركة رجل الأعمال (نبيل العوضي)
لقد قبل توظيفه في قسم الحسابات، صحيح هو لم يفعل شيئًا سوى الجلوس أمام جهاز الحاسب الآلي لبضع ساعات ثم يذهب إلى منزله

كانت فرصة مميزة بالنسبة للرجلَين؛ فصاحب الشركة فقدَ مساعده ويحتاج لشابٍ ذكيٍّ ذي قلبٍ ميِّت مثل هذا، و (آدم) اتخذ تلك الوظيفة غطاءً لجرائمه حتى وإن كان صاحب الشركة تحت المراقبة فالموظفون ليس لهم علاقة به كعادته قبل أي شيء استطاع أن يدلف إلى غرف المديرين ويضع أجهزة التنصت بها وفي مكتب رئيس الشركة أيضًا، هكذا يطمئن قلبه حتى يستطيع الاستماع إلى أي حديث يدور من وراء ظهره، فتح نافذة جديدة علي الشاشة وقام بتنزيل إحدى الألعاب القتالية وبدأ بتشغيلها ليأخذه عقله إلى الماضي، ضاقت رؤيته للشاشة وبدأت الدائرة تظلم بسرعة؛ فبدأ يشاهد بوضوح عندما كان في الخامسة عشرة من عمره منذ عشرة أعوام تحديدًا.. «أقبل على إخوته عندما ذهبت عربات الشرطة وهو يصيح»:

- ماذا حدث لأبي، أخبروني؟!

أشار الاثنان بعدم المعرفة حتى تحدث أكبرهما بثبات:

- انتظروني داخل المنزل سوف أذهب إلى (ربيع) صديقه؛ ربما يعلم أين هو؟!

- ادخلوا المنزل فأنا بخير.

قالها (توفيق) والدهم من الخلف، كان وجهه شاحبًا ويبدو عليه التعب الشديد، متخفيًا بملابس غريبة ملونة لم يرتدِها من قبل، وقام بقص شعره حتى أصبح أقرع، أخذ بيد ابنه الكبير وساقه إلى الداخل وطلب من أخويه أن ينتظرا في غرفتهما حتى ينتهيا. بعد نصف ساعة خرج الابن الأكبر من غرفة أبيه بملامح يكتسحها الحزن كأنه صُدم بأمرٍ ما، فنادى أبوهم على الابن الأوسط، خرج بعد نصف ساعة، مناديًا تلك المرة على (آدم) تقدَّم بخطواته المرتبكة حتى وجدَ أباه جالسًا على الفراش قائلًا له بصوت منخفض:

- أغلِق الباب يا بني.

عاد (آدم) بسرعة وهو يغلق الباب، ثم تقدَّم نحوه حتى سمح له بالجلوس وبدأ حديثه:

- اسمع يا بني، سوف أخبرك بشيءٍ لم أُخبِر أحدًا به من قبل في الحقيقة هي عدة أمور ربما لصغر سنك لم تتفهمها بعد أو ستحزنك ولكنها ستحدث لا محالة.

نظر له الابن بحزنٍ، ليشعل أبوه سيجارة ويكمل حديثه....

**

بعد سرقة المتحف بيومين

يجلس (ياسر) في مكتبه وأمامه ورقة بيضاء مكتوب فيها اسم (شكري) وأسفله ثلاثة خطوط، ثم اسم (نجيب) وقد تمَّ شطبه وأسماء فَردَيّ الأمن (توفيق) و (إسماعيل) اللذين اختفيا بعد الحادث مباشرة، و (ربيع) الخادم الذي عمل في منزل (نجيب الراوي) قبل الحادث بيوم واختفى يوم مقتله...

لا يوجد تفسير منطقيّ حتى الآن بالنسبة للنيابة غير أن (شكري) قام بتعطيل كاميرات المراقبة لرجال (نجيب) حتى اقتحموا المتحف وقتلوا فَردَيّ الأمن كي يأخذوا القطع عائدين بها إلى رئيسهم وقد سُرِق هو بعدها وتمَّ قتله، لم يكن تحليلًا كافيًا بالنسبة إلى (ياسر) خصوصًا أن الجريمة تمت بمنتهى الهدوء ولا أثر لأيّ مشاجرة أو عنف حدث بداخله أو حوله بدأ يكتب مذكّرته في (شكري) والتي ستُقدَّم إلى النيابة حتى يأخذ جزاءه بعد اعترافه ليقاطعه رنين هاتفه فوجد المتصل رئيسه في العمل، وافق على المكالمة قائلًا:

- أوامرك يا افندم.

اذهب الآن إلى قرية دنشال بدمنهور، لقد وجدَتْ الشرطة هناك جثة بجوارها حقيبة تحتوي على ثلاث قطع بنفس مواصفات القطع المسروقة من المتحف.

انتفض (ياسر) وهو يجيب بسرعة:

- في أقل من ساعة سوف أكون هناك.

أنهى المكالمة وخرج من مكتبه بخطوات صاخبة مُتَخِذًا الدرج في ثوانٍ معدودة حتى وصل إلى سيارته وركبها وانطلق.

طوال الطريق وهو في الحوار الذي دارَ بينَهُ وبين حارس منزل (نجيب) بعد وفاته، لقد أبلغه أن الزائر الوحيد الذي أتى إلى المنزل شخص يُدعى (سعد) وذلك في تمام الساعة الرابعة فجرًا أي؛ بعد سرقة المتحف بحوالي ساعتين، كان في يده حقيبة سوداء والتقى بـ (نجيب) داخل مكتبه استغرقت زيارته خمس عشرة دقيقة، ثم غادر المنزل وهو يحمل نفس الحقيبة، فمِنَ المؤكد أنّه القاتل.

ازدادت سرعة السيارة حتى أصبح على الطريق الزراعي في طريقه إلى محافظة دمنهور.

**

يقف (عمران) أمام نافذة مكتبه يتابع خطوات المارة أسفل المخفر، دسَّ يده في جيبه مُخرجًا ورقة وقام بفتحها مخرجًا منها العلكة السوداء التي التصقت بحذائه في مسرح الجريمة، ظلَّ يتأملها قليلًا مُتَذكّرًا أيام صباه وهو في منزل أبيه...

«دلف غرفة أخيه فوجده جالسًا وأمامه طبق به سائل أسود اللون، وفي يدُه قطع الشمع الخام وقداحة، يقومُ بإشعال القداحة حتى ينصهر الشمع في الطبق ويخلطه بالسائل الأسود».

- ماذا تفعل؟!

قالها (عمران) لأخيه الصغير فأجابه:

- أصنع علكةً بدبس الرمان، انتظر كي تتذوق معي.

اقترب أخوه جالسًا جواره حتى انتهى وأخذ قطعة ماضغًا إياها، ولكنه بصقها في الحال معلقًا:

- ما هذا العبث؟!

ضحك أخوه الصغير وهو يضع في فمه قطعة كبيرة وقام بمضغِها قائلًا:

- طعمها رائعٌ، ولكنها خالية من السكر فقط.

انتهى (عمران) من مراجعة ذكرياته مع أخيه ليغلق النافذة ثم أخرج هاتفه طالبًا رقمًا ما ويضع الهاتف على أُذُنِه:

- مرحبًا يا (آدم) كيف حالك؟! سمعتَ بالجريمة التي حدثت بالأمس على الطريق الصحراوي.

صمت (آدم) قليلًا ثم أجابه:

- نعم وقُتل فيها ثلاثة أشخاص.

تبسم (عمران) ساخرًا ثم تحدث

- الغريب أنّي وجدتُ في مكان الجريمة علكتك التي كنت تصنعها وأنت صغير.

- جيد، ماذا تريد؟

كان (آدم) يتحدث إليه بصوته الهادئ مما جعل أخوه يغضب ويصيح فيه قائلًا:

- لماذا قتلتهم يا غبي؟!

تنهد بعدها عندما خشي أن يستمع أحد إليه، وتابع بصوت منخفض:

- لماذا قتلتهم، وما علاقتك بهؤلاء المجرمين؟!

- اسمع يا (عمران) لن أقبل إهانتك مرة أخرى، ولا تنسَ أنني بمكالمة واحدة أستطيع إقالتك من الشرطة بأكملها.

- مكالمة؟! أنتَ تهددني يا (آدم)، ومَن الذي ستهاتفه؟!

- (الشمندري) ألا تعلم أنه يملك كل تسجيلاتك الصوتية عن أعمالك الخارجة عن القانون والتي تقوم بها مقابل المال.

سعل (عمران) توجسًّا من قول أخيه ليتحدث بصوتٍ مهذب:

- يا أخي، أنا لم أقصد أبدًا ولكن تعليقي فقط هو أن تلك الجريمة تسببت في حملٍ كبيرٍ لي وأنتَ لم تخبرني بها حتى أكتب مذكّرتي، أمّا بخصوص سيدي (الشمندري) أخبره أنني لا زلتُ تحت طوعه وفي خدمته حتى النهاية، هو فقط لم يطلب منّي شيئًا حتى الآن، وأنتَ تعلمُ ذلك لأنك الوسيط بيننا.

- يجب أن تخبرنا بما يحدث قبل أن نطلب منك، ولا تجادلني في تلك الجريمة سوف تقيد ضد مجهول هكذا؟!

صمت (عمران) قليلًا ثم أجابه:

- نعم يا أخي نعم سوف تقيد ضد مجهول.

ضحك (آدم) وهو ينهي المكالمة دون ردٍّ، وجلس على كرسيه مُداعبًا رأس كلبه.

**

قبل سرقة المتحف بيوم.

وصل (شكري) إلى منزل (نجيب) ومعه رجلٌ يرتدي ملابس غير متناسقة تدلُّ على حالته المادية السيئة، استقبلهم صاحب المنزل مصافحًا (شكري) ونظر إلى الرجل الذي يقف بجواره من أعلى إلى أسفل، نظرة مزدرية، مُتحدِّثًا:

- هذا الذي أخبرتَني عنه؟!

- نعم اسمه (ربيع) وسوف يخدمُك ويُلبِّي طلباتك كلها.

أومأ (نجيب) وهو ينظر للرجل باستحقار قائلًا:

- حسنًا، اذهب وانتظرني في الغرفة المجاورة حتى أنتهي.

انحنى (ربيع) برأسه متوجهًا حيث أشار ليجلس (نجيب) متنهدًا وهو يقول:

- لمَ تقُل لي إنّه رجلٌ كبيرٌ، كنت أظنّه شابًا خفيف الحركة، على كلّ حالٍ سوف نرى عمله ليومين.

جلس (شكري) قائلًا بصوت منخفض:

- المهم، أخبرني ماذا سنفعل غدًا؟!

- قُمتَ بتعطيل الكاميرات كما أخبرتك؟!

أومأ (شكري) ليتابع الآخر:

- سوف أعطيك حقيبة، اذهب غدًا إلى المتحف في موعد عملك واتركها في مكتبك فقط، وهنا تنتهي مهمتك.

عقد (شكري) حاجبيه متسائلًا:

- حقيبة! وماذا بداخلها؟!

- يمُكنُك فتحها في منزلك حتى ترى ما بداخلها، ولكن يجب أن تتركها في مكتبك غدًا؛ لأن (سعد) سوف يقوم بسرقة القطع غدًا بعد منتصف الليل، وكما وعدتك لن يلاحظ أحدٌ أن المتحف تعرض لأيّ سرقة.

انتهى وهو ينهض متوجهًا إلى غرفة مكتبه مُخرِجًا بحقيبة سوداء واضعًا إياها على الطاولة بينهما ثم قام بفتحها متابعًا:

- ثلاثةُ قطعٍ طبق الأصل من القطع التي سوف نأخذها.

**

أنت ابنته بالطعام وجلست إلى جواره ليكمل لها قصته القديمة مع جريمة المتحف، لقد سرد الكثير ولم يبقَ إلا تفاصيل قليلة، وابنته تُدوّن كلَّ شيء في مفكرتها فتابع هو:

- عندما وصلت إلى مخفرِ قرية دنشال توجهت إلى مكتب المأمور وعرَّفتُه بنفسي، أتى بالحقيبة التي تحتوي على القطع الثلاثة وأبلغني أنها قطعٌ زائفة، وكلّ ما حدث أن هذا الرجل يُدعى (سعد) وقد أتى من القاهرة إلى تلك المحافظة ليبيع القطع الثلاث ظنًّا منه أنها حقيقية، ويبدو أن المشتري عندما اكتشف الخدعة قتله وترك جثته قُرب إحدى المزارع هنا.

أومأت ابنته وهي تسأل:

- أتعني أن (سعد) قتل (نجيب الراوي) وأخذ القطع المزيفة وهو يظنُ أنها حقيقية؟!

- هذا ما حدث، لا تفسير آخر، ولكن السؤال؛ أين القطع التي سُرِقت من المتحف، ومَن بدّلها بقطعٍ مطابقة لها؟!

- نعم، أعلم أن هذا هو اللُّغز الثاني، أمّا عن الأول فهو اختفاء فرديّ الأمن و (ربيع) الذي عمل ليوم واحدٍ في منزل (نجيب) قبل موته.

أشعل (ياسر) سيجارة وهو يقول:

- فَرْدَا الأمن وجدناهما في اليوم الثالث مقتولين بجوار المتحف وجسداهما موضوعان في أكياس بلاستيكية ويبدو أن أحدهما تعرَّض للحرق، أتذكر أنّه (توفيق الريحاني).

حدقت إليه ابنته متسائلة:

- (توفيق) الذي كان له ثلاثة أبناء؟!

- نعم، وتفرقوا بعد موته؛ الأوسط التحق بكلية الشرطة وهو الآن ضابط بمديرية أمن القاهرة، اسمه (عمران).

- إذن السارق قتل فرديّ الأمن وهرب.

- بالضبط، وبموت (سعد) الذي قتل (نجيب بشهادة الحارس وبصماته التي تركها على الكرسي أُغلِقت القضية، وبقي السؤال مَن الذي قتل (سعد) وترك بجواره القطع المزيفة؟!

- حدثني عن مُحَاكمة مدير المتحف يا أبي.

تنهد (ياسر) متذكرًا لحظة وصوله قاعة المحكمة، جلس وهو يرمق (شكري) بنظرات يملأها الغضب بينما الآخر ينظر إلى أسفل بيأسٍ لتبدأ الجلسة بتعقيب وكيل النائب العام والذي قال:

- إن هذا المتهم الماثل أمامكم تجرَّد من الإنسانية ومن أيّ مبدأ يقطن داخل مسؤولٍ بمنشأة تابعة للدولة، أنساه الشيطان قَسَمَهُ بالحفاظ على ممتلكات الدولة وهرول وراء جَنْي الأموال، لذلك أطلب من سيادتكم بتوقيع أقصى العقوبة على المُتّهم ولا تأخذكم به شفقة ولا رحمة.

ليتحدث القاضي:

- الدفاع يتفضل.

نهض المحامي متحدثًا:

- سيدي القاضي حضرات السادة المستشارين، أودُّ أن أوضح شيئًا لعدالتكم، موكلي أخطأ واعترف بخطئه؛ فهو لم يسرق بل تعرض للتهديد من قِبَل رجل الأعمال (نجيب الراوي).

- ولماذا لم يبلغ الشرطة؟!

- لأن الرجل الذي هدده له علاقات وكان سيعلم أنه أوشى به إليكم ويقوم بقتله، نحن لا نملك دليلًا لأنّ (نجيب) قُتل ولكن لو فكرنا في الأمر قليلًا سنثبت نزاهة موكلي، إنه يعمل في المتحف منذ سنوات طويلة ولم يسرق ورقة واحدة.

- الحكم بعد المداولة.

قالها القاضي وظلوا يتشاورون بصوت منخفض، ثم تحدَّث:

- حكمت المحكمة حضوريًا على المُتّهم (شكري أشرف أبو زيد) بالسجن المشدَّد لمدة سبع سنوات، رُفعَت الجلسة.

نهض (ياسر) من بين الجالسين وهو يصيح:

- ماذا تقول؟! سبع سنوات!! هذا الرجل تسبَّب في سرقة آثار ومقتل أربعة أشخاص غير أنه يعلم بمكان القِطَع الأصلية، كيف تُغلَق القضية هكذا؟!

تعالت الأصوات وهو لا زال يصرخ حتى حُكمَ عليهِ بالحبس لمدة أربع وعشرين ساعة...

كان (ياسر) يروي لابنته وهو يبكي منفعلًا لتقترب منه ممسكة بيديه قائلة:

- أبي، عندي حلٌّ يجعلنا ننجز الكثير.

حدَّق إليها (ياسر) متسائلًا:

- كيف؟!

**

المتحف الفرعوني ساعة التنفيذ

الخامس عشر من يناير سنة 2020، الثانية بعد منتصف الليل

توقف (سعد) بدراجته النارية أمام السور الخلفي للمتحف ثم تركها وهو يخلع حقيبة الظهر الخاصة به كي يقوم بفتحها وأخرج حبلًا غليظًا في نهايته «هِلب» حديدي وقذفه إلى أعلى حتى أمسك بحافة السور، أغلق حقيبته وارتداها مرة أخرى حتى يبدأ التسلق بخطوات سريعة؛ فهو يملك جسدًا نحيفًا ساعده على الوصول دون بذل أيّ مجهود، ظل يمشي بخطوات حريصة حتى وقف أمام النافذة الزجاجية ثم فتح

حقيبته وأخرج منها جهاز قص الزجاج اليدوي، قام بتثبيته على الزجاج وسحبه إلى أسفل قاطعًا دائرة قطرها حوالي 20سم، ثم مدَّ يده إلى الداخل ناجحًا في فتح النافذة دون أن يُصدِر أيّ صوت أو يلاحظ فردا الأمن اللذان يقفان على البوابة وجوده

دلف إلى الداخل ممسكًا بكشاف ضوئي صغير متجهًا إلى مكتب مدير المتحف كما أخبره (نجيب) أن الحقيبة التي تحتوي على القطع المزيفة موجودة خلف الكرسي، ولكنه ظلَّ يفتش ولم يجد شيئًا، أخرج هاتفه وهو يزفر طالبًا سيده واضعًا الهاتف على أذنه، هامسًا بصوت منخفض:

- سيد (نجيب)، لم أجد الحقيبة بالداخل!

صاح (نجيب) وهو يسأله:

- كيف؟! لقد أخذها منّي (شكري) واتفقنا أن يتركها لك بالداخل.

- لا وقت لهذا، أخبرني ماذا أفعل؟!

صمت (نجيب) قليلًا ثم قال:

- اسمعني جيدًا، خُذ القِطع الثلاث واكسر زجاج الصندوق ولا تترك وراءَك أي أثرٍ، ستقع التهمة على هذا الغبيّ.

أنهى (سعد) المكالمة متوجهًا إلى الصندوق الذي يحتوي على القطع الأثرية وقام بكسره سريعًا والتقط الثلاث قطع واضعًا إياهم في الحقيبة وغادر من حيث أتى.

تسلق السور إلى الخارج وركب دراجته النارية وانطلق متوجهًا إلى منزل (نجيب)، طوال الطريق وهو يفكر في نصيبه من تلك العملية، يتوعَّدْ بداخله إلى سيده إذا قدَّم له بضع نقود كعادته فهو يطمع في الكثير.

قطع الطريق في نصف ساعة حتى وصل أمام بوابة المنزل ففتحَ له الحارس فتقدَّم بدراجته إلى الداخل متوقفًا وهو ينزع واقي الرأس قائلًا:

- أخبر سيدك أنني، أتيت.

رمقه الحارس بتهكم دالفًا إلى المنزل وهو ينادي على (ربيع) الخادم، ولكن لا مجيب مرت لحظات حتى خرج له (نجيب) متسائلًا:

- هل أتى (سعد)؟!

- نعم يا سيدي.

- أبلغه أنني في انتظاره بغرفة مكتبي.

قالها وهو يدلف إلى الغرفة، ثم استدار سائلًا:

- أين (ربيع)؟!

- لا أعلم، لم أشاهده منذ البارحة.

- لا يُهِم، اخرج وافعل كما أمرتك.

قالها وهو يدخل مكتبه ويغلق الباب خلفه فزفر الحارس عائدًا إلى الخارج قائلًا بصوتٍ عالٍ:

- السيد (نجيب) ينتظرك بمكتبه.

تبسم له (سعد) مترجلًا من أمامه حتى توقف هامسًا في أذنه:

- لمَ أنت غاضب هكذا أيها العجوز؟!

انتهى متابعًا مشيه إلى المكتب طارقًا الباب ثم فتحه ودخل وأغلقه عليهما، حتى نهض (نجيب) مسرعًا متحدثًا بحماسة شديدة:

- أرني القطع يا (سعد).

أبعد الحقيبة عن يديه الممدودتين وهو يردّ غاضبًا:

- لن تأخذ شيئًا حتى نتفق.

حدق فيه (نجيب) وهو يسأله:

- ماذا؟! ما الذي تقوله يا بني؟!

- كما سمعت أريد حقي مسبقًا.

تبسم (نجيب) ابتسامة مصطنعة والخوف في عينيه يقابله الشر الذي يخرج من عيني الآخر، وردَّ:

- حقك في الحفظ والصون يا ولدي أنا رجل صعيدي كما تعلم لا أضيع مجهود رجالي أبدًا.

كان يتحدث وهو يفتح الخزنة الخاصة به ليخرج منها دفتر الشيكات وجلس ممسكًا بالقلم وهو يتابع:

- ها، أخبرني كم تريد؟!

- أعتقد من الصعب أن رجلًا مثلي يملك دراجة نارية ذات إصدارٍ قديمٍ يذهب إلى البنك بشيك يحمل رقم «خمسون مليون جنيهًا».

ترك (نجيب) القلم من يده ونظر إليه متنهدًا متحدثًا بعدها بصوت منخفض:

- يبدو أنّك أصبحتَ كؤودًا يا (سعد)؛ لن تأخذ أكثر من مئة ألف وإذا رفضت سوف تأخذ رصاصة واحدة.

أخرج (سعد) مسدَّسَه وهو يُزوِّده بكاتم صوتٍ وقام بربطه جيدًا ثم وجَّهه إلى منتصف جبينه و (نجيب) يَدسُّ يده داخل درج مكتبه بخبثٍ ممسكًا بسلاحه مصطنعًا اللا مُبالاة ليفاجأ برصاصة تخرج من مسدس (سعد) مستقرة في رأسه ويسقط جثة.

هكذا انتهى أمره، ولو عَلِمَ بذلك من قبل أو أي شخص غيره لم يفكر في أكثر من قُوتِ يومه.

تحرَّك (سعد) بسرعة وهو يغلق الخزنة ويضع كل شيء في مكانه والتقط الحقيبة مغادرًا، مغلقًا باب المكتب خلفه.

**

يقف (آدم) في منزل لم يكتمل بناؤه موليًا ظهره إلى الباب وكلبه بجواره يترقب في الاتجاه الآخر، مرت لحظات وهو يمضغ علكته حتى استمع إلى الباب وهو يفتح فظلَّ في مكانه مستديرًا برأسه راسمًا على شفتيه ابتسامة واسعة للرجل الذي دلفَ إلى المنزل الآن، كان يتوكأ على عصا، ويقترب بخطواتٍ بطيئة حتى أصبح جواره وتوقف في نفس الاتجاه متحدثًا بهدوءٍ:

- كيف حالك يا (آدم)؟!

- أنا بخير، أخبرني أنتَ عن صحتك.

تنهد العجوز، ثم استنشق الهواء ليجيبه

- كنت بخير حتى علمت خطئي!

عقد (آدم) حاجبيه ثم نظر إليه متسائلًا:

- أيّ خطأ تتحدث عنه؟!

- لا يهم، أنا طلبتك لأمرٍ آخر، عملية لا أحد يستطيع تنفيذها غيرك.

بصق (آدم) العلكة من فمه منتظرًا حتى أردف العجوز:

- عدو لي ولكَ سيظهر في القريب العاجل، وخطته تدمير كل ما بدأناه!

- ليس لنا أعداء، من أين أتيت بتلك الأخبار؟!

فيه اعتدل الرجل ونظر إليه بغضب ثم صفعه على وجهه وصاح:

- هذا ما علمته لك؟!

قالها وهو يترك العصى، ثم أمسك رأس (آدم) بكلتا يديه مقتربًا بفمه ليهمس قائلًا:

- أرى اللامبالاة في عينيك، ما الذي حدث لك؟!

تراجع (آدم) وهو يهز رأسه يمينًا ويسارًا متبسمًا بحزن قائلًا:

- لا شيء، كل ما في الأمر أنني أسعى جاهدًا طوال الوقت لأجعلك مطمئنًا وأنت تعلم جيدًا أنني الضلع الأكثر قوة في مثلث النجاة، ومع ذلك تفضِّل الضلعان الآخران عليَّ في كل شيء، ماذا فعلوا لنا حتى تعاملهم هكذا وتعاملني بتلك الطريقة؟!

- أنت لست الضلع الأقوى في المثلث، بل أنتَ الأهم أيضًا والأذكى، وخطتنا لن تنجح إذا غفلت لثانية واحدة.

- وأنا لم أغفل.

قالها (آدم) بعصبية فأخرج العجوز من جيبه هاتفًا محمولًا وقام بتشغيل مقطعًا صوتيًا «سوف أبدأ أنا بالبحث في قضية اختفاء (إسماعيل) وأنتَ في قضية (ربيع) وفي النهاية سنصل إلى نتيجة جديدة، أرجوك لا تستسلم مرة أخرى، يكفي أن الجهاز أعطاك فرصة جديدة لا تُضيّعها».

التفت (آدم) مُحدِقًا وهو يسأله:

- مَن هؤلاء؟!

- أين مصادرك السرية في الشرطة يا (آدم)؟! كيف تفتح القضية مرة أُخرى دون علمك؟!

قبل أن يتحدث (آدم) تابع الرجل:

- أعلم أنّه ليس خطأك، وأعلم أن القاعدة الأولى في المثلث تنهى عن قتل من لم يحاول قتلنا، وتنص على عدم قتل السيدات أيضًا.

- ما الذي تريد قوله؟!

- (ياسر عز الدين) وابنته يجب أن تتخلص منهما الليلة، خُذ هذا الهاتف عليه كل بياناتهما وخط سيرهما.

- وما علاقتهما بنا؟

- (ياسر) هو أول مُحقِق بحث في قضية سرقة المتحف وقدَّم استقالته، يشاء القدر أنّ ابنته بعد عشرة أعوام

تقنعه بتقديم التماس إلى الوزارة وعودته كمحقق خاص في نفس القضية، وأعطوه مهلة عامين إما أن يقوم بإعادة القِطَع إلى المتحف والقبض على المتورطين وإما أن تغلق القضية.

يسير (آدم) بسيارته وصوت الرجل في أذنه مقدمًا له بعض المعلومات عن هذا المحقق.

- (ياسر) ليس بسهل، وعودته بعد تلك الانتكاسة ستكون قوية، يجب أن تقتلهم قبل أن يصلوا إلى عائلة (إسماعيل) أو أي شخص كان له علاقة بي.

ضغط أكثر على دواسة الوقود وهو ممسكٌ بالهاتف ناظرًا إلى الخريطة التي تحدد منزلهم.

**

دلف (ياسر) إلى منزله ومعه ابنته ليلاحظا نقل الكرسي الذي كان موضوعًا بجوار الباب إلى جانب الطاولة لم يعِ أي اهتمام؛ فقط نظر إليها وهو يهز رأسه إلى أسفل وأعلى ثم تحدَّث بصوت عالٍ:

- تعتقدين أن عامين كافيين للبحث في تلك القضية؟

نعم يا أبي أنا متأكدة بأنك سوف تنجح.

عانقها أبوها وهو يقبّل رأسها دالفًا إلى غرفته، وظل يفتش بداخلها حتى أسفل دولابه القطعة الصغيرة ملصقة في جوفه، وضع إصبعه عليها وكاد أن ينزعها ولكنه تراجع.

على الجانب الآخر يجلس (آدم) في منزله مُرتَدِيًا سماعة الرأس مُستمِعًا لما يدور بينهما، فقد استطاع زرع جهاز

التجسس في إحدى الغرف بمنزلهم وحالفه الحظ أن تلك الغرفة هي التي يدور فيها حديثهما كل ليلة عن قضية المتحف صحيح هم حتى الآن لم يستطيعوا الوصول إلى أحدٍ منهم، ولكن إذا وصلوا سيقع عليهم قانون القتل كما أخبره (الشمندري).

انتهى وهو يغلق الجهاز ليستقبل هاتفه مكالمة واردة من (نبيل العوضي) وافق عليها قائلًا:

- مرحبًا بالقائد.

ضحك (نبيل) متحدثًا:

- كيف حال عملك في الشركة؟

- عملٌ رائعٌ، أذهب كل يوم لأحتسي قهوتي من يدِ الفتاة الجميلة التي تعمل في البوفيه ثم أعود إلى منزلي ولكن لدي تعليق بسيط.

- ماذا تريد يا (آدم)؟

- عشرون ألفًا في الشهر مرتب غير مُجدٍ خصوصًا أننا سنة 2020 وكل شيء أصبح غالي الثمن، ما رأيك أن تجعل مرتبي خمسين ألفًا؟!

ضحك (نبيل) مرة أخرى ثم أجابه:

- ما رأيك أنتَ في عمل لن يأخذ منكَ أكثر من ساعة واحدة مقابل مئة مليون دولار؟!

صمت (آدم) قليلًا وكأنه يفكر ليقول:

- موافق.

- بهذه السرعة ودون أن تعلم ما هي المهمة التي سوف أكلفك بها؟!

- لا يهم طالما تطلبها منّي فأنتَ تعلم أنني أستطيع، وبما أنّي أستطيع، فلن أرفض طلبك.

- أنت شخص رائع يا (آدم) على كل حالٍ سوف أنتظرك غدًا في منزلي لنتحدث.

أنهى (نبيل) المكالمة مبتسمًا للرجل الذي يجلس أمامه متابعًا:

- أسمعت؟ لن يرفض لي طلبًا.

- (آدم) ليس بتلك السهولة؛ فهو أخي الصغير وأنا أعرفه جيدًا وعندما يعرف أن مطلبك له علاقة بالقطع الأثرية سيرفض لأنه يعلم أن أبانا قُتِل بسببهم وعاهد (الشمندري) على ذلك.

- قُل لي يا (يعقوب) ما قصتكم، وما قصة الرجل الذي يدعى (الشمندري)؟!

تراجع (يعقوب) بظهره متنهدًا بادئًا حديثه بصوت حزين وملامح يكسوها الحزن:

- عندما علمنا باختفاء أبي من الضابط الذي أتى للقرية بحثًا عنه وعن (ربيع) ثم غادر، وجدنا أبانا يأتي من الخلف يلهث، وبدأ يطلب كل واحدٍ منَّا مُنفرِدًا في غرفته ليشرح له الأمر وعاهد كل واحد منَّا ألا يخبر أخويه الاثنين عمَّا قاله، أما عنّي فأخبرني أنه قام بسرقة القطع الأثرية؛ بعدما استمع (ربيع) وهو في منزل (نجيب) بالخطة التي وضعها مع مدير المتحف وأخبره

بها، قام أبي وزميله بتبديل القطع الأصلية بالقطع الزائفة التي تركها مدير المتحف لرجل (نجيب) الذي سينفذ العملية، وظنّوا أنه عندما يأتي ولا يجد القطع الزائفة في المكتب سوف يعود، ولكن خالف توقعاتهم وواصل السرقة حتى وصلت القضية إلى الشرطة كما يعلمها الجميع.

- لا أصدق ما تقوله تقصد أن السارق الذي تحدثت عنه الدولة والجرائد كلها كان أباك!

أومأ (يعقوب) وتابع:

- اتفق معي أن أذهب إلى الإسكندرية وأعيش هناك ولا أعود إلى هنا مرة أخرى حتى يأتي لي رجل اسمه (الشمندري) وعليَّ أن أُنَفِذ تعليماته كاملة، هذا كل ما حدث.

- وكيف توفي والدك؟!

- وجدوه مذبوحًا وجسده محروق في أكياس بلاستيكية بجوار المتحف، وذهب أخي (عمران) للتعرف عليه، أما (آدم) فقد كان صغيرًا؛ لن يتحمل النظر وأنا كما أبلغني أبي لن أظهر مرة أخرى في حياة إخوتي قبل أن يسمح لي (الشمندري).

نهض (نبيل) رافعًا حاجبيه وهو يفكر ثم تحدَّث:

- ومتى ظهر الرجل الذي يدعى (الشمندري)؟!

بعد حوالي سبعة أعوام من الحادث وأول أوامره لي كانت ألا أتزوج وألا أترك العمل في البحر حتى ينتهي كل شيء أراده والدي.

- غريب جدًّا، ولكن قل لي ما الذي كان يجبرك أن تطيع أوامره؟

- العهد الذي أخذه أبي عليَّ قال إننا لن ننجو بعد جريمته إلا لو أطعنا هذا الرجل، ومَن يخالف أوامره يُعاقب بماذا، وكيف؟! لا أحد منا يعلم! ولكنه يستطيع فعل أي شيء.

جلس (نبيل) مرة أخرى وسأله:

- صف لي شكله أو أرِني صورة له، لقد أخذني الفضول كثيرًا لهذا الرجل.

تبسم (يعقوب) بيأسٍ ثم هزّ رأسه يمينًا ويسارًا وهو يرد:

- لا أحد منّا يعرف شكله إلا (آدم) لأنه هو من ربّاه ومن أهداه (بيل) الكلب الذكي، أما أنا يُحدّثني عبر الهاتف فقط وأخي (عمران) يأخذ أوامره عن طريق (آدم)، هذا الرجل غامضٌ جدًّا لديه قوانين صارمة ويعلم كل شيء يحدُث، حتى تلك العوامة التي نتحدثُ فيها ربما هو سيعلم بما دار بيننا ويقتلني عندما أعود ولكن كما قلت لك أصبحت لا أخشى شيئًا.

**

يقف (ياسر) أمام المرآة يقوم بحلقِ لحيته تجهيزًا لمقابلة رئيسه في العمل لعودته بعد قبول الالتماس وفتح القضية مرة أخرى، ربما اليوم آخر شيء سيتذكره في الماضي ويبدأ من جديدٍ يتذكر رحلته الأخيرة إلى قرية السلام كي يبلغ أبناء (توفيق) بظهور جثة والدهم فلم يجد الابن الأكبر فأخذ معه الأوسط (عمران) حتى يتعرف عليه، أما الابن الأصغر يُقال

إنه اصطحبه أحد أقاربه إلى القاهرة لرعايته، لأول مرة كان (ياسر) يشعر بالشفقة وهو عائد بسيارته الخاصة وبجواره (عمران) الشاب الصغير الذي سيعيش في المنزل بمفرده منذ تلك الليلة، حتى الرجل الذي أخذ (آدم) رفض احتضان أخيه معه بحجة أنه لن يستطيع إعالة فردَين لم يتركه (ياسر) وظل معه حتى التحق بكلية الشرطة واطمأن عليه أنه أصبح رجلًا يعتمد على نفسه فتركه وانقطعت أخباره.

- ما هذا الجمال؟!

قالتها له ابنته واقفة من الخلف، فابتسم مستديرًا لها قائلًا:

- دائمًا تجاملين أباك العجوز.

أمسكت يده وهي تقبلها متحدثة:

- مَن العجوز؟! أولًا أنتَ لم تكمل الستين من عمرك، ثانيًا الشيب الذي يسكن جانبي رأسك يعطيك الوقار لا أكثر.

اتسعت ابتسامة أبيها وهو ينظر في ساعته متابعًا بعجلة:

- عليّ أن أرحل ادعي لي أن يوفقني الله في تلك المقابلة، يجب أن يقتنع رئيسي في العمل بأسبابي لمنحي صلاحية مراقبة هؤلاء الرجال.

انتهى وهو يقبّل رأسها ذاهبًا إلى غرفته ليرتدي ملابسه، أما هي دلفت إلى غرفتها وأغلقت بابها لتخرج من دولابها المفكرة البيضاء الخاصة بها ثم جلست على الفراش وقامت بفتح أولِ صفحة والتي تحتوي على جملة بخط يدها كعنوان رئيسي (قضية المتحف) ظلت تُقلّب بصفحاتها حتى وصلت للمنتصف وباقي الأوراق فارغة؛ فأخرجت القلم حتى تكمل ما بدأته.

أعتذر لوقف الأحداث هنا سوف نكمل ولكني أردت فقط أن أنوّه للقارئ أن: بعض الأحداث التي لم أُدوّن لها تواريخ وضعت لك علامات وأسماء شخصيات تجعلك تعلم في أيّ زمنٍ حدثت وعليك التركيز فقط في القادم، أتمنى لك قراءة ممتعة.

كلمة الكاتب

(4)

كُن واثقًا أن كل ما سيحدث لك مدوَّن بالفعل في صحيفة حياتك؛ لذلك لا تخف وخذ قراراتك بصرامة، فالحياة على هذا الكوكب مجرد فترة زمنية وستمضي.

**

توقف (آدم) بسيارته أمام قصر (نبيل) وخرج منها مترجلًا إلى الباب والكلب بجواره حتى دلف إلى الحديقة والحرس يفسحون لهما الطريق بناءً على تعليمات سيِّدهم، ظلَّ يترقب حوله بهدوء متأملًا هذا القصر العملاق الذي ربما يصل ثمنه إلى خمسمئة مليون جنيه ليرى (نبيل) ينهض مستقبلًا له مصافحًا إياه بحفاوة مشيرًا إليه بالجلوس، جلس والكلب متوقفٌ خلف صاحبه فتحدَّث إليه (آدم):

- اجلس يا (بيل) لا داعي لمراقبة المكان.

انتهى وهو يرمق (نبيل) بثقة موجهًا حديثه إليه:

- هذا (بيل) صديقي الوحيد، وهو مَن قتل رجلك.

تبسم (نبيل) مبديًا عكس ما بداخله مشيرًا بيده إلى أحدِ رجاله فأتى مسرعًا.

- أحضر لنا (هرقل) كي يتعرف على الضيوف.

قالها (نبيل) ساخرًا وهو ينظر إلى أعلى ليذهب الرجل إلى أقصى سور الحديقة، وقام بفتح أحد الأبواب الحديدية ليخرج كلب ضخم لونه بني لديه عضلات كلاعب كمال

الأجسام، وضع في رقبته الطوق وبدأ يسحبه بالسلاسل إلى مجلسهما، حدَّق إليه (آدم) ثم وضع يده على رأس كلبه قائلًا:

- اهدأ يا (بيل) لا تفعل شيئًا قبل أن أُعطيك أمرًا

ضحك (نبيل) وهو يقول:

- ما رأيك في هذا الكلب، أظن أنّه لو بصق في وجه كلبك لقتله خوفًا!

تبسم (آدم) بمنتصف شفتيه معلقًا:

- ما رأيك لو سمحنا لهم بمعركة الفائز فيها هو من يقتل الآخر.

اعتدل (نبيل) بملامحه وهو يرد متكبرًا:

- ولكن عاهدني ألا تحزن على صديقك...

أومأ (آدم) وهو ينهض وجثا بجوار كلبه هامسًا في أذنه:

- سوف تقتله لأنك الأذكى، وأنت تعلم، الذكاء يتغلب على القوة، هيَّا.

تراجع الرجل الذي يمسك بالكلب الضخم وقام بنزع الطوق من رقبته، نهض (آدم) مُقبِلًا رأس كلبه و (نبيل) يضع قدمًا على الأخرى مشاهدًا ما سيحدث، ركض (بيل) حيث أشار له (آدم)

وتوقف في مكانٍ واسع راكضًا وراءه الكلب الضخم وانقض عليه حتى أصبح فوقه محاولًا غرز أسنانه في رقبة (بيل) ولكن سرعان ما دفعه بقدمه ونهض مواصلًا ركضه والكلب الضخم وراءه و (نبيل) يضحك ضحكاته الصاخبة ظنًا منه أنّ

الكلب يفرُّ خوفًا من كلبه، ولكنه في الحقيقة يوقع به في هذا الفخ لا أكثر حتى استدار وانقض على الكلب الضخم قابضًا بفكه على مفصل قدمه وسحبه بقوة منتزعًا اللحم وتابع في قدمه الأخرى حتى ظهرت عظام قدمه بوضوح فتراجع (بيل) والكلب الضخم ساقط أرضًا لا يستطيع الوقوف ليصيح (آدم) في كلبه قائلًا:

- (بيل) اقتله الآن.

نظر الكلب إلى صاحبه وانقضّ على ضحيته واضعًا أنيابه في منتصف رقبته، وأغلق فكه كله بإحكام حتى نزفت الدماء بكثرة من رقبة الكلب، ظلَّ (بيل) قابضًا على رقبته حتى أشار له (آدم) بالعودة و(نبيل) ينظر بغضب لكلبه الذي يحتضر ولكنه تذكَّر السبب الأهم فتصنع الابتسام وظل يصفق للكلب الناجي وهو يقول:

- بطل مثل صاحبك.

أمسك (آدم) بزجاجة المياه وظل ينظف فم كلبه من الدماء ثم جلس مرة أخرى مُتحدِّثًا إلى (نبيل):

- أتعلم ما الذي فعله كلبي؟!

- في الحقيقة لا ولكنه رشيق وممتاز.

تبسم (آدم) متابعًا:

- أوقع كلبك في فخ نفسيّ؛ جعله يشعر أنّه خائف حتى لا يخرج قوته كلها في المعركة وفاجأه (بيل) بهجومه غير المتوقع. دائمًا يا سيد (نبيل) الشخص الذي يخوض معركة وهو يستهين بخصمه يتعرض للخسارة. أخبرني ماذا تريد؟

عقد (نبيل) حاجبيه مشبكًا أصابعه أمامه على الطاولة ليبدأ حديثه بعدم ثقة:

- أريد فقط عقد صفقة معك مقابل المبلغ الذي أبلغتك به.

- وما هي صفقتك؟!

- أريد شراء القطع الأثرية التي سرقها أبوك قبل عشرة أعوام من المتحف.

نهض (آدم) غاضبًا وهو يقول:

- أنتَ جننت كيف تتحدث في هذا الموضوع معي؟!

- كيف تتحدث معي هكذا، أنسيت من أنا؟!

أغلق (آدم) عينيه وهو يهزّ رأسه يمينًا ويسارًا وتابع بهدوءٍ:

- لا لم أنسَ، ولكنك لا تعلم أن الحديث في هذا الموضوع ربما يكون السبب في قتلي وقتلك.

تبسم (نبيل) بغضب وهو يردُّ:

- قتلي!! أكرر سؤالي؛ أنسيت مَن أنا؟ إذا كنت تخشى الرجل الذي يدعى (الشمندري) هذا لا تخف سوف نقتله.

التفت إليه (آدم) ناظرًا بدهشة وخوف شديدين لم يستطيع الحديث ونظر أرضًا ليتابع (نبيل):

- صدِّقني وثِق بي لا أحد يستطيع أذيتك وأنت معي، أنا أعلم كل شيء عنك وعن إخوتك.

- إخوتي!!

قالها (آدم) وهو يخطو بعيدًا وكلبه بجواره حتى اقترب من البوابة ثم أردف بصوت عالٍ دون أن يلتفت:

- (الشمندري) لا أحد يستطيع قتله؛ فهو يرانا في كل وقت ويستمع إلينا، أنصحك بالتقرب إلى ربِّك يا (نبيل) لأنك ستموت.

ثم نظر إليه وتابع بنظرة يملأها الغضب مكملًا لكلامه:

- لقد استمع الشمندري إلى حوارك مع يعقوب وادعُ الله أن يسامحه تلك المرة.

**

يجلسُ (يعقوب) أرضًا في منزله ويداه وقدماه مكبلون تتساقط من رأسه قطرات الماء وتتسلل إلى وجهه، قد يبدو أنّه تعرض للتعذيب بطُرق مختلفة ولكنه لم يتحدث حتى الآن بكلمة واحدة يقف أمامه رجلان يرتديان ملابسَ سوداء لديهما أجساد ضخمة وملامح عدوانية وكلٌّ منهما يحملُ سلاحًا رشاشًا صغيرًا وثالثهما كان العجوز، يجلس في آخر الغرفة في الظلام متكئًا على عصاه ليتحدث:

- لماذا يا (يعقوب)، لماذا أوشيت بي عند هذا الرجل؟

نظر له (يعقوب) بغضب وهو يرد مُنفَعِلًا:

- لأنني سئمت من هذه الحياة عشرة أعوام وأنا أعيش كالأموات بمفردي، تحكمني قوانينك البشعة وكأنّني في سجن، وأنتَ أين أسبابك، لماذا تفعل بنا كل هذا؟!

تبسم (الشمندري) ساخرًا من قوله، متحدثًا:

- قد ترك لكم أبوكم ثروة تتعدى العشرة مليارات دولار وكنتم فقراء، والشرطة تبحث وراءكم لو كان أحدٌ منكم تعامل بحريته وتمّ القبض عليه لضاعت ثروتكم كلها.

- حسنًا، اتركني وشأني لا أريدُ شيئًا من تلك الثروة.

قالها (يعقوب) باكيًا وتابع بصوته الحاد:

- لو كنت أعلم منذ البداية أن تلك القوانين والقيود ستمتد لكل هذه الأعوام لرفضت الانضمام إلى مثلث النجاة.

- صدقني لم يمنحك أبوك رفاهية الاختيار وقتها، هذا قدرك وأنتَ صبرت كل هذا الوقت وفي النهاية تعجلتَ وقضيتَ على نفسك.

رفع (يعقوب) رأسه مُتَنهِدًا، وهو يقول:

- صدقني أنت؛ الموت راحة لي.

- لن أقتُلك سوف أتركك تفكر وأمنحك فرصة ثانية حتى تعود إلى رشدك.

انتهى وهو ينهض متوجعًا وخطا إلى الخارج متابعًا:

- كان من المفترض أنّك أول المسافرين إلى الخارج لتتمتع بثروتك التي حولتها لك، ولكن بفعلتك هذه ستكون الأخير من بين إخوتك.

ثم نظر إلى رجاله مردفًا:

- حرروه من الحبال.

قاموا بفكِّ القيود بعد أن خرج (الشمندري) وركب سيارته لينهض (يعقوب) متتبعًا سيرهم إلى الخارج بنظرات يملؤها الغضب ظل يبحث عن هاتفه بخطوات مهتزة نتيجة تكبيل قدميه حتى وجده وطلب أخوه (عمران) وكانت هذه المرة الأولى التي يهاتفه فيها دون إذن رئيسهم.

- (عمران)، يجب أن نلتقي الليلة.

قالها (يعقوب) بتوسل، فصاح أخوه فيه قائلًا:

- أجننت ما الذي تقوله؟! (الشمندري) قال إنّنا لا يُمكِن أن نلتقي إلا بالخارج بعد انتهاء المدة.

زفر (يعقوب) وهو يرد بصوت عالٍ:

- تبًا له ولك سوف أقتله.

استمع (الشمندري) إلى تلك الجملة عبر مُكبِر الصوت المزود بسيارته ليضحك مرددًا:

- غبي طوال عمرك يا (يعقوب).

- اسمع يا أخي أنا متأكد أن (الشمندري) يستمع لمكالمتنا الآن ويجب عليَّ أن أنهي المكالمة وأهاتف (آدم) لأعلم منه ما حدث لك، وداعًا.

**

يجلس (ياسر) في مكتب رئيس المباحث بمديرية أمن القاهرة ينظرُ أرضًا ويرمقه من وقتٍ إلى آخر حتى ينتهي من قراءة التقرير مُجَهِزًا بداخله بعض الردود على الأسئلة المتوقعة.

- عظيم يا (ياسر) ولكن معذرة لدي بعض علامات الاستفهام.

أومأ (ياسر) متبسمًا ليتابع رئيسه:

- أنتَ تعلم أننا وافقنا على فتحِ القضية مرة أخرى ثقة في عقلك وذكائك فقط وكانت موافقتنا بشكل مبدئي حتى أطلع على التقرير، وسؤالي الأول هو؛ لماذا ستبدأ بمدير المتحف السابق ولم تبدأ بعائلة ربيع الذي يعتبر هو الحلقة المفقودة منذ سرقة المتحف، أنتَ تعلم أنه اختفى ولم نجد له أي أثرٍ؟!

اعتدل (ياسر) ليجيبه بصوته الوقور الهادئ:

- الحلقة المفقودة يا سيدي في القطع الزائفة التي ظنَّ السارق أنها أصلية؛ لذلك مدير المتحف يعلم بشيء لم نعلمه نحن وهذا موقفي منذ البداية، جريمة السرقة تمت قبل تلك الساعة التي نعرفها من قِبل أشخاصٍ آخرين، وهُم من قتلوا فرديّ الأمن.

صمت رئيس المباحث قليلًا، ثم أومأ متابعًا:

- على كلٍّ حال الوزارة وافقت على عودتك وأمامك عامان حتى تصل إلى مكان القطع سواء كانت لا زالت داخل البلد أم بالخارج.

- أعتَبِرُ أنني استلمتُ عملي بشكل رسمي الآن؟

- نعم، ومرحبًا بك.

نظر (ياسر) إلى أسفل بحرج ثم تحدث:

- أريد بعض المعلومات والعناوين عن بعض الأشخاص.

- الجهاز كله سيعمل لأجلك لا تقلق.

اتسعت ابتسامة (ياسر) وهو ينهض مصافحًا إياه وغادر المكتب بخطواتٍ سريعة، لأولِ مرةٍ يشُعر بتلك السعادة منذ زمنٍ طويل، وستتضاعف عندما يصل الخبر إلى ابنته فهي كانت بحاجة كبيرة لترى أباها يعود إلى عمله ولديه أمل جديد في تلك القضية ولكن لا ليس لديه وقت سيذهب إلى (شكري) ويفتح معه تحقيقًا غير رسمي حتى تكتمل معلوماته توقف فجأة أثناء سيره وظلَّ ينظر إلى الضابط الذي مرَّ بجانبه محاولًا أن يتذكره حتى صاح:

- (عمران)

توقف (عمران) مستديرًا إليه وبدأ يتفحص ملامحه بملامح جادة حتى تبسم في النهاية مقتربًا منه بخطوات سريعة وعانقه قائلًا:

- (ياسر) بك، لا أصدق عيني.

ربت (ياسر) على كتفه وهو يردُّ:

- كنت سأطلبك غدًا لمقابلتك، اشتقت لرؤيتك كثيرًا.

تراجع (عمران) وهو يقول:

- وأنا أيضًا، لقد بحثت عنك كثيرًا، ولكن إلى حد علمي أنك كنت خارج البلاد.

- نعم، وعدت منذ عام واحد، وعندي خبر سيفرحك كثيرًا.

- عودتك تكفي يا سيدي فأنا لم أنسَ فضلك عليّ ولولا تدخل ما أصبحتُ شرطيًا.

ضحك (ياسر) قائلًا:

- لا هذا بفضل الله، ألا تريد أن تعرف الخبر؟

- خير إن شاء الله.

نظر (ياسر) حوله ليتأكد أن لا أحد يستمع إليهم، ثم همس إليه:

- لقد عُدت إلى عملي وفتحت قضية سرقة المتحف ومقتل والدك وزميله وسوف نأخذ بالثأر يا (عمران)

حدق فيه (عمران) لتصبح ردة فعله غريبة وردَّ بصوت مُهتَز:

- جيدٌ يا سيد (ياسر) أدعو الله أن يوفقك.

عقد (ياسر) حاجبيه ثم أومأ متبسمًا وهو ينظر في ساعته وأردف:

- عليَّ الذهاب الآن، سوف نلتقي مجددًا.

تبسم له (عمران) وظلَّ ينظر إليه حتى غادر الممر ونزل إلى أسفل.

**

يجلس (آدم) في منزله أمام جهاز التنصت يقوم بإعادة تشغيل المقطع الصوتي للحديث الذي دار بين (ياسر) ورئيسه في العمل، ثم أشعل سيجارة ونهض مُمسِكًا بهاتفه ليبلغ الشمندري بما حدث، ولكن سبقه اتصال أتاه من أخيه (عمران) وافق على المكالمة وهو يقول:

- أهلًا يا أخي، هل لديك جديد؟

- نعم، (ياسر عز الدين) استلم عمله اليوم لقد التقيت به في المديرية.

- أجل لقد علمت سوف أُبلِغ (الشمندري) وأُعاود الاتصال بك.

- انتظر قل لي ماذا حدث مع (يعقوب) لقد هاتفني وكان منزعجًا جدًّا منه.

تبسم (آدم) ساخرًا ثم رد عليه قبل أن يُنهي المكالمة:

- أخينا أفشى بالسرّ لرجل غريب.

قطع الاتصال وطلب الشمندري) حتى وافق على المكالمة ليتحدث (آدم):

- من منزلي أتحدث ما رأيك؟

- لا يوجد أحد بجواري تحدث يا (آدم).

- (ياسر عز الدين) سيبدأ بالتحقيق مع شكري ربما يصل إلى منزله بعد ساعة من الآن، أوامرك.

زفر (الشمندري) متحدثًا بغضب:

- قلت لك اقتله لأن عودته سترهقنا وأنت لم تستمع إليَّ.

أغمض (آدم) عينيه حتى يكظم غيظه ليرد بصوت هادئ:

- لماذا نرتكب جريمة كهذه ونحن نستطيع أن نستمع إليه وهو في منزله أو في مكان عمله وطالما نعلم في أي شيء يفكر لن ينتصر علينا.

- اسمع يا بني سوف تبدأ بالرحيل من تلك البلدة، الأسبوع القادم ستغادر أنت وبعدك عمران وأنا و(يعقوب) سوف نلحق بكما، لا يمكن أن ننتظر حتى يتم القبض علينا بعد كل ذلك.

- اتفقنا.

- هل تستطيع زرع جهاز تنصت في منزل شكري قبل أن يصل إليه (ياسر).

- أستطيع، سوف أهاتفك بعد قليل.

أنهى (آدم) المكالمة وهو يصيح مناديًا على كلبه ليحضر في الحال ثم جثا بجواره قائلًا:

- لدينا مهمة يا صديقي، ولكنها أصعب بقليل سوف نقتحم أحد المنازل لتروِّع أنت سكانه حتى أنتهي من وضع الجهاز.

**

خرج (عمران) من سيارته وهو يترقب حوله بحرس شديد وبدأ يخطو إلى الاستراحة التي تجاور محطة الوقود على الطريق الصحراوي، وجلس بمفرده واضعًا حقيبته أمامه، مُخرجًا هاتفه مغلقًا إياه وأشعل سيجارة منتظرًا بضع دقائق حتى توقفت شاحنة أمامه مباشرة حاجبة الرؤية بين الطاولة التي يجلس بها وبين الطريق ليخرج منها رجل يرتدي نظارة شمسية وغطاء رأسٍ دائري وتوقف أمامه وهو ينظر في ساعته حتى أخذ الحقيبة ووضع واحدة مكانها بنفس المواصفات وعاد سريعًا إلى الشاحنة منطلقًا بها ثم نهض (عمران) حاملًا الحقيبة عائدًا إلى سيارته وانطلق بعدها،

خرج أحد العاملين بمحطة الوقود وفي يده الهاتف الذي رصد به كل ما حدث وقام بحفظ مقطع الفيديو وأرسله إلى أحدهم على تطبيق التليجرام فقام المستقبِل بالرد عليه في الحال «قم بتبديل ملابسك وارحل أنت قبل أن يلاحظ أحد».

استمر (عمران) بقيادة سيارته ذاهبًا إلى منزله حتى وجد سيارة أخرى تقطع عليه الطريق فضغط أكثر على دواسة الوقود، ولكنها لا زالت تلاحقه حتى توقفت أمامه فتوقف فجأة مخرجًا سلاحه الناري ليخرج شابًا من تلك السيارة، ولكنه أعزل رافعًا يديه إلى أعلى قائلًا:

- هاتفك مغلق وجئتك برسالة من الضلع الثالث، يقول لك هاتفه بسرعة لأنك في خطر.

انتهى الرجل ودلف إلى سيارته وذهب و (عمران) لا زال يوجِّه سلاحه متنهدًا ثم قام بفتح هاتفه فوجد مكالمة واردة من أخيه (آدم) وافق عليها وهو يقول بغضب:

- ماذا تريد؟

- مَن الرجل الذي التقيت به في الاستراحة ولماذا أغلقت هاتفك؟؟

زفر (عمران) وهو يرد بصوته الغاضب:

- على ما أعتقد أنني ضابط ولدي مهامي الخاصة والسرية وأعمال أخرى غير عملي معكم.

صمت (آدم) قليلًا ثم تحدث بنفس هدوئه:

- معك حق، ولكننا لسنا بهذا الغباء حتى نصدق ما تقوله على كلٍ أذكّرك فقط أننا خلال هذا الشهر سوف نغادر البلد جميعًا ونعيش حياة سعيدة، لقد اتفق الشمندري على بيع القطع وأي خطأ سيصدر من أحد سيلحق بنا جميعًا، تذكر هذا جيدًا لا تتخلَّ عن ملايين الدولارات مقابل عشرة آلاف جنيه تحصل عليهم مرة كل شهر في عملك الشاق.

نظر (عمران) إلى أسفل ليتابع (آدم):

- لو أخطأت، أخبرني وأنا سوف أصلح وراءك، فكر وهاتفني إذا أردت.

أنهى (آدم) المكالمة فاستقبل إشعارًا أتاه من جهاز التجسس بمنزل (شكري). ضغط على زر التشغيل مستمعًا لما يحدث.

**

تأكد (ياسر) أن هذا العقار به منزل مدير المتحف السابق (شكري) ثم نظر مرة أخرى في الورقة؛ فوجد أنه يقطن في الطابق الرابع، تقدَّم بخطوات سريعة حتى دلف إلى البناية واقترب من المصعد لكنه ما إن أصبح أمامه اكتشف أنه مُعطَّل فتوجه نحو السلم صاعدًا على قدميه إلى أن وصل إلى الشقة رقم ٨، ضغط على زر الجرس لتفتح له امرأة عجوز والتي بدأت أن تتفحصه من أسفل نظارتها الطبية ثم سألته:

- من أنت؟

تبسم (ياسر) وهو يرد:

- أنا صديق قديم للسيد شكري وجئت لزيارته.

أومأت العجوز بحزنٍ لتستأذنه أن ينتظر قليلًا، وعادت إلى الداخل ثم أنت قائلة:

- تفضَّل.

تقدَّم (ياسر) وهو يلقي السلام متأملًا هذا المنزل البسيط لتتابع السيدة:

- أعتذر منك على عدم تنظيم المنزل، ولكن منذ ساعات اقتحم منزلنا كلب عبر النافذة وقمنا بإخراجه بعد معاناة.

أومأ (ياسر) محافظًا على ابتسامته الهادئة حتى أردفت:

- شكري ينتظرك داخل غرفته، فهو مريض لم يستطع استقبالك.

توجه هو حيث أشارت فوجده نائمًا على الفراش، ملامحه تغيرت تمامًا أصبح وجه شاحبًا وجسده نحيفًا، لقد غيره السجن كثيرًا، ظل يرمق (ياسر) بمجهود ملحوظ حتى اعتدل وهو يقول بصوته المرهق:

- اتركينا بمفردنا يا أم عائشة.

تفهمت زوجته الأمر وخرجت وهي تغلق الباب خلفها اقترب (ياسر) جالسًا على حافة الفراش ولم يتحدث فهو كان لا يعلم أن حالته الصحية تدهورت بهذا الشكل.

- ماذا تريد يا (ياسر) بك؟!

التفت إليه الضابط ليسأله:

- أنتذكرني؟!

تنهد (شكري) ثم ظلَّ يسعل حتى هدأ صدره ثم تحدث:

- كيف أنساك وأنت السبب في كل ما حدث لي؟

نظر له (ياسر) بغضب متبسمًا ساخرًا وهو يرد:

- أتقصد طمعك هو السبب ولست أنا؟

نظر (شكري) بعيدًا ولم يتحدث فتابع الضابط:

- جئتك لتبرئ ذمتك أمام الله، أرجوك ساعدني ولو بمعلومة.

- لقد قلت لك كل شيء أعرفه والنيابة دوَّنت أقوالي، يمكنك مراجعة ملفي إذا كنت نسيت.

زفر (ياسر) بضيق ثم اقترب منه وكأنه يتوسل إليه بصوت منخفض:

- السارق الذي أرسله نجيب قام بسرقة قطع زائفة، من الذي وضعها قبل أن يأتي؟

نظر (شكري) إلى أسفل ثم نظر إليه وهو يقول:

- اتفقت مع نجيب أن أعطل الكاميرات وأضع الحقيبة التي تحتوي على القطع الزائفة في مكتبي حتى يأتي سعد ليلًا ويقوم بتبديلهم فقط في اليوم التالي وجدت النافذة مكسورة والثلاث قطع سُرقوا ولم يضع مكانهم القطع الزائفة كما اتفقنا فقمت بإبلاغ الشرطة لا أعلم أكثر من ذلك.

صمت (ياسر) قليلًا وهو يفكر ثم سأله:

- هل علم أحد بهذا الاتفاق قبل السرقة

نفى (شكري) برأسه ثم حدق أمامه معلقًا:

- لقد اتفقنا في منزل نجيب ولم يكن معنا أحد غير.....

- مَن؟ تحدَّث.

- ربيع، خادم أتى معي ليعمل في منزله ولكنه اختفى عقب سرقة المتحف.

- هل تعتقد أنه ذهب ونفذ خطتكم بدلًا منكم؟ وإن كنت تظن ذلك، هل كان يملك القدرة على قتل فرديّ الأمن بمفرده وسرقة القطع ووضع مكانهم القطع الزائفة في ساعة واحدة؟ الحارس يقول إنه غادر في الواحدة بعد منتصف الليل.

ظلَّ (شكري) يهز رأسه يمينًا ويسارًا ثم أجابه بيأس:

- لقد استمع إلى حوارنا وأبلغ....

نهض (ياسر) وهو يقاطعه بغضب:

- أنت تحاول تشتيتي سوف تعلم غدًا ما سأفعله بك.

ذهب غاضبًا ليخرج من المنزل فنزع (آدم) سماعة الرأس ضاحكًا وهو يقول:

- جيد يا (ياسر) جيد جدًّا.

نهض متوجهًا إلى هاتفه المحمول كي يخبر (الشمندري) بما حدث، ولكنه وجد هاتفه مغلقًا، عاود الاتصال عدت مرات ولكن لا جديد، حدق إلى الهاتف وهو يتمتم:

- ما الذي حدث له لا بُدَّ أن أزوره.

توجه نحو دولابه مرتديًا ملابسه بسرعة ثم خرج إلى منزل الخارجي وكلبه بجواره ومنه إلى الخارج دالفًا إلى سيارته وانطلق.

**

يجلس (ياسر) في أحد الفنادق بعد أن قام بحجز غرفة له ولابنته وهي تجلس أمامه ممسكة ببعض الأوراق تقرأها له بصوت منخفض:

«دلفت الغرفة وراء أبي، وطلب مني أن أغلق الباب، أغلقته وجلست بجواره على الفراش في مقدمة حديثه طلب مني أن لا أبلغ أحدًا بما سيقوله الآن ولا حتى إخوتي، وتعهدت له بذلك، كنت حينها في السابعة عشر من عمري، قال لي أن أبقى في هذا المنزل مهما حدث وأهتم بدراستي والتحق بكلية الشرطة وأصبر حتى تأتيني رسالة مع أحدهم من شخص يدعى (الشمندري) ولا بُدَّ أن أنفذ أوامره بالحرف حتى أنجو من الجريمة التي تورط هو فيها وإن خالفت أوامر هذا الرجل سيقتلني وهو يستطيع، أما إذا اتبعت أوامره خلال أعوام سنجتمع أنا وإخوتي ونصبح من الأغنياء، بعدها طلب أخي الصغير ولا أعلم ماذا قال له حتى ذهب أبي وفي الصباح ذهب (يعقوب) أخي وفي اليوم التالي أتيت أنت لتخبرني بظهور جثة والدى، بعدها التحقت بكلية الشرطة ومرت أعوام وأنا أعيش بمفردي حتى أتاني اتصال من أخي (آدم) يخبرني أنه الرسول الذي تحدَّث عنه أبونا وبدأ يحدثني عن الشمندري ويعطيني أوامره ويطلب مني معلومات داخل كل قسم كنت أعمل فيه وأسماء ضباط وعناوين أشخاص إلى اليوم يرفض أن أتزوج أو أتحرك خطوة واحدة دون علمه على الرغم من أني لم أشاهد

الرجل الذي يُدعَى (الشمندري) أو أستمع حتى إلى صوته لدرجة أنني ظننته مجرد كذبة من أخي (آدم) ولكن (يعقوب) أخبرني أنه يتحدث معه مباشرة في الهاتف وفي البارحة شاهده في منزله ولكنه رأى جسده فقط؛ لقد تعمد هذا العجوز أن يجلس في مكان مظلم وذهب دون أن تظهر ملامحه، اسمي في تنظيمه (الضلع) الثاني ومهمتي جمع المعلومات لتسهيل جرائمه و (يعقوب) (الضلع الأول) ومهمته الدراسة الجغرافية لميناء أبي قير بالإسكندرية وجمع معلومات عن السفن والتجار حتى يسهل عليهم التهريب، أحيانًا يهربون سلاح أو مخدرات، أو أي شيء غير قانوني حتى الدواء الفاسد، أما (آدم) فهو (الضلع الثالث) ومهمته التجسس والحماية؛ فهو يمتلك عدة قطع إلكترونية تستقبل أي ترددات صوتية على نطاق واسع كدائرة قطرها مئتان متر ومعه كلب يسمى (بيل) يصنف من أذكى الحيوانات على وجه الأرض يقوم بمساعدته في كل شيء. ولا أعلم أكثر من ذلك».

انتهت ابنته وهي تتنهد ثم نظرت إليه قائلة:

- تعتقد أنهم قاموا ببيع القطع؟

- لا أعلم، ولكن أفكر الآن في أمر آخر؛ يجب أن لا يشعروا بشيء، ولن أعطل القطعة التي وضعوها لنا في المنزل وعلمت أيضًا أنهم وصلوا إلى ميكروفون هاتفي وعلموا بعودتي قبل أن يضعوا القطعة اللاصقة، يجب أن نصل إلى الرجل الذي يدعى (الشمندري) هذا وسيصبح كل شيء بعدها سهلًا.

**

وصل (آدم) بسيارته إلى الطريق المؤدي إلى منزل (الشمندري) وهو يعلم جيدًا أن هذا خطر لهما، ولكن خوفه عليه هو الذي دفعه إلى ذلك، كان الطريق ضيقًا يتسع سيارته فقط وعلى جانبيه أشجار كثيفة وكأن نهايته غابة وليس منزلًا، لا أحد يسكن هنا غير هذا الرجل، لا يوجد منزل غير منزله فتلك المنطقة التي تسمى (حوض ٤) تعتبر غير موجودة على الخريطة كمنطقة سكنية فهي تحتوي على بعض الأنهار والمزارع فقط، توقف أخيرًا أمام منزله وخرج من سيارته ليقفز كلبه من الخلف ركض سريعًا وهو يتلفت حتى اطمأن أن لا أحد يتتبعه وظل يطرق الباب الحديدي ولكن لا مجيب، ابتعد قليلًا ودفعه بقوة مستخدمًا كتفه الأيمن حتى فتحله الباب على مصراعيه، أعطى أوامر للكلب أن ينتظر أمام الباب حتى يؤمن له المكان وصعد هو السلم حتى وصل إلى باب الشقة ظل يطرق الباب وهو يصيح بكنيته (الضلع الثالث) ولكنه لم يجد ردًّا، أخرج مسدسه وأطلق في قفل الباب الداخلي حتى فتح له الباب فتدفع إلى الداخل باحثًا عنه في كل الغرف حتى وجده ملقى ارضًا، ركض نحوه بفزع محاولًا إيقاظه ولكنه لم يستيقظ، وضع أذنه على قلبه فوجده لا زال ينبض ثم حمله واضعًا إياه على الفراش وأحضر مياهًا وبدأ ينثرها على وجهه عدة مرات حتى فتح عينيه وهو يشهق ليزفر (آدم) وهو يمسح دموعه قائلًا:

- ماذا حدث لك؟ لقد أفزعتني.

بدا (الشمندري) ينظر حوله محاولًا استيعاب ما يحدث حتى اعتدل مردِّدًا:

- غيبوبة سكر يا بني، لا تقلق.

نهض (آدم) مترجلًا إلى النافذة وأزاح الستار بغضب وهو يقول:

- لا يمكن أن تبقى وحدك في تلك القرية منذ الآن، تعالَ معي إلى القاهرة أو سأبقى معك هنا.

سعل العجوز وردَّ بضيق:

- لا وقت سوف نرحل كلنا، أمامك أيام وستغادر.

استدار إليه (آدم) واقترب منه معلقًا:

- لا تخف لن يقترب منك أحدٌ وأنا بجوارك، وإن كنت تخشى مراقبة الشرطة لي سوف أجهز لك منزلنا وأحضر لك فتاة لخدمتك.

- فتاة!! موافق.

ضحك (آدم) وأشاح بيده ليكمل:

- هيَّا ارتدي ملابسك لتأتي معي وخذ علاجك قبل أي شيء.

- أخبرني أنت ما الذي حدث بين الضابط وشكري؟

- سوف أحكي لك ونحن في الطريق، هيَّا أنا في انتظارك بالخارج.

**

وقفت (نورين) أمام المرآة لتضع الكحل البسيط، ولكن أفزعها صوت مديرها في العمل وهو يصيح من الخلف قائلًا:

- هل قال أحد لكِ أنكِ في مركز تجميل، أنتِ هنا نادلة في مطعم، أتعلمين؟

نظرت إلى أسفل وعيناها أوشكتا على البكاء لأنه اعتاد إهانتها أمام الضيوف ولا يبالي لشيء، انصرفت من أمامه متابعة عملها ممسكة بقطعة من القماش وظلت تنظف الطاولة والدموع تتساقط من عينيها، كلما نظر إلى الجالسين وجدهم ينظرون لها بشفقة وقد يزداد الأمر حزنًا بداخلها، عادت إلى ركن تجهيز المأكولات وأمسكت بطبقٍ لتقدّمه لإحدى الزبائن، ولكنه سقطَ أرضًا فظلت تبكي حتى أتى مديرها وقبل أن يتحدث نهض رجلٌ جالس معتذرًا بدلًا منها عما حدث ودفع ثمن الطعام مغادرًا المكان حتى صاح المدير مرة أخرى فيها:

- لو تكرر الأمر سوف أقوم بطردك دون أي مستحقات.

أومأت (نورين) وتابعت عملها.

**

(5)

يمكنك أن تتخذ من أعدائك حلفاء جيدين، ولكن لا تغفل حتى تنتهي المعركة وتحصل على مرادك.

**

وقف (يعقوب) على المرسى منتظرًا السفينة الخاصة التي تقترب منه كي تحمله بعيدًا عن مراقبة عصابة (الشمندري) هو حتى الآن لا يعلم كيف علمَ بحديثه مع (نبيل) وكيف استطاع أن يزرع (آدم) جهازه داخل منزله، أخذ نفسًا عميقًا من سيجارته وفركها بإصبعه حتى تفتكت وهو ينظر إلى التبغ المتساقط متحدثًا بداخله «سوف تكون نهايتك كتلك السيجارة أيها الرجل» وصلت السفينة البيضاء حتى دلف إليها وبدأت تبحر إلى عرض البحر فأشار إليه أحد الرجال بالذهاب وراءه إلى الطابق الأعلى، صعد الدرج ليشاهد (نبيل) جالسًا وأمامه طاولة عليها أنواع مختلفة من الخمور، اقترب (يعقوب) ممسكًا بالكرسي البلاستيكي ووضعه أمامه ليجلس متحدثًا:

- هل أنت متأكد أنهم لن يستمعوا إلينا هنا؟

ضحك (نبيل) ضحكات صاخبة بسبب سكره ليرد:

- هنا لا يستمع إلينا أحد إلا الأسماك والقروش

أومأ (يعقوب) ثم أشعل سيجارة أخرى وأمسك بزجاجة الشمبانيا وصبَّ في كأسه فقط وأخذ رشفة مغمضًا عينيه من تأثيرها فهو لم يعتَد على هذه المشروبات الكحولية ثم سأله.

- كيف سنتخلص من الشمندري؟

- لا يمكن أن نتخلص منه قبل أن نقطع يده.

عقد (يعقوب) حاجبيه مستفهمًا ليتابع (نبيل):

- يجب أن نقتل (آدم) أولًا.

حدق فيه غاضبًا وهو يقول:

- أخي!! لا يمكن لن يصل بي عقلي إلى هذا التفكير، أنا أريد التخلص من هذا العجوز فقط مقابل أن أدلك على مكان القطع الأثرية.

تبسم (نبيل) ساخرًا وهو يسأل:

- وماذا لو اعترض (آدم) طريق رجالي وقتل منهم أحدًا كما فعل من قبل.

صمت (يعقوب) قليلًا ثم هزَّ رأسه يمينًا ويسارًا بيأس قائلًا:

- لا أعلم.

اعتدل (نبيل) واحتسى كأسه متحدثًا بجدية:

- اسمعني يا بني أخوك الذي تتحدث عنه راكع لهذا الرجل، وإذا أمره بقتلك سيفعلها أتعلم لماذا؟ لأنه مخلص لحياته العملية وأنا أريدك هكذا لا تجعل العواطف الإنسانية تقودك إلى الفشل طالما اخترت العمل الجاد وجَنْي الأموال والقتال؛ تنازل يا (يعقوب) تنازل حتى تصل إلى هدفك.

- لا يمكن أن أتفق معك على مقتل أخي، يمكنني مساعدة رجالك في التخلص من الشمندري دون أن نمس (آدم) بسوء.

رفع (نبيل) يديه وهو يردُّ بثقة:

- أتمنى، رجالي وسلاحي تحت أمرك إن استطعت، ولكن أخبرني كيف ستجعلني أصل للقطع الأثرية؟

- لا أحد يعلم بمكانهم غير (آدم) ولو قُتلَ الشمندري سوف أقنعه ببيعهم لك ونتخلص من ذلك الكابوس لنعيش أحرارًا؛ لأن أخي كان متعلقًا بأبي جدًا هو بجوار الشمندري حافظ على وعد أبيه له وليس حبًا فيه.

أومأ (نبيل) منهيًا حديثه:

- سوف تستقر بنا السفينة على جزيرة بها منزلي الآخر هو قصر واسع سوف نسكن فيه حتى تضع خطتك مع رجالي لقتل هذا الرجل اتفقنا؟

**

عاد (ياسر) ومعه ابنته إلى منزلهما بعد قضاء يومين في أحد الفنادق الفاخرة، قام بوضع المفتاح في مكانه الصحيح، داخلًا إلى منزله هو وابنته وأغلق الباب خلفهما، أضاء الغرفة ليجد رجلين ينقضان عليهما رافعين أسلحتهما في وجوههما فصرخت ابنته وهي تتشبث فيه، رفع يديه قائلاً وهو ينظر إليهما:

- لا تخافي يا ابنتي لو كانوا جاءوا لقتلنا لفعلوا، ولكن يبدو أنهم يحملون رسالة فقط.

تبسم أحدهما مكر مقتربًا من ابنته واضعًا مسدسه خلف رأسها متحدثًا:

- أبوكِ عبقري يحلل الأمور بطريقة جيدة.

ثم نظر إليه وأردف بصوت هادئ:

- اترك قضية المتحف التي تسببت لك بالجنون وإلا قتلنا ابنتك في الزيارة القادمة.

انتهى وهو يفتح الباب ويدفعها نحو أبيها وخرجا بسرعة مغلقين الباب خلفهما، ظلت الفتاة تبكي وأبوها يعانقها مرددًا:

- لا تخافي يا عزيزتي نحن بخير.

قالها وظل محدقًا أمامه بجمود كأنه يفكر في أمرٍ ما حتى ترك ابنته وتوجه بسرعة نحو غرفته دالفًا إليها ليفتح دولابه مخرجًا منه حقيبة سوداء واخذها إلى فراشه كي يفتحها ثم نظر إليها متنهدًا كأن مخاوفه انتهت عند رؤية محتوياتها، دلفت ابنته إلى الغرفة ليغلق الحقيبة بسرعة فسألته وهي تمسح دموعها:

- ماذا تفعل يا أبي؟

أشار إليها بالصمت مستخدمًا كفه على يده ثم أجاب بصوت عالٍ:

- لا شيء يا ابنتي أجهز سلاحي فقط تحسبًا لأي شيء، أعتقد أن (شكري) هو من أرسلهم وأنه ليس مريضًا كما يزعم.

انتهى من قوله متذكرًا كيف حصل على تلك القطع بطريقة غير قانونية عندما قدم استقالته حتى لا ينسى أبدًا تلك القضية فهي لا تقل قيمة له عن رقم (120).

استمع (آدم) إلى جملته الأخيرة وهو يغلق الجهاز ناظرًا إلى (الشمندري) الذي يجلس بجواره في منزله الخفي ونهض قائلًا:

- ألم أقل لك إنه لم يفكر إلا في مدير المتحف.

زفر (الشمندري) وهو ينهض ببطءٍ متكئًا على عصاه وبدأ يخطو إلى الممر المؤدي إلى الشقة التالية فتوقف عند الباب مستديرًا إليه وهو يقول:

- سوف يذهب إليه غدًا وربما يعترف له أن (توفيق) الذي كان أمنًا في المتحف هو مَن أرسل الخادم لنجيب، وبما أنه يعلم أن (توفيق) قتل سوف يفتش وراء أبنائه وهم أنت وأخوتك وسينتهي أمرنا جميعًا.

أخذ نفسًا عميقًا وهو ينظر إلى (آدم) بغضب وتابع:

- أرسل أحد رجالك لقتل شكري الليلة ولا تذهب أنت.

نظر له (آدم) معترضًا حتى أردف (الشمندري) بصوت عالٍ:

- سمعت يا (آدم) الليلة.

أومأ له وهو يمسك هاتفه ليبلغ أحدهم بقتل (شكري).

**

التقطت (نورين) الأطباق الفارغة من على الطاولة وذهبت بهم إلى سلة القمامة وألقت الفضلات فيها ثم وضعتهم في مكانهم حتى يأخذهم الحوَّاض لغسلهم وعادت إلى منتصف صالة المطعم تتابع الزبائن لعلَّ أحدهم يحتاج إلى شيء، لقد أصبحت متمرسة أكثر في عملها ولم تعد تستمع إلى انتقادات مديرها كما كان يحدث في الأيام السابقة، ولكن توجد قاعدة

في العمل وهي «لن تنعم بالراحة النفسية أبدًا طالما يحكمك شخصًا طاغية» وقعت عيناها على رجل جالس بمفرده كان ينظر إليها بغرابة كأنه يعرفها جيدًا وهي تعرفه أيضًا فهو كل ليلة يجلس هنا إلى نفس الطاولة وهو من خلصها من ثمن الطبق الذي سقط منها من قبل استدارت بوجهها حتى لا تنظر إليه بينما مديرها كان يتتبع الموقف فاقترب من الرجل هامسًا في أذنه:

- أتعجبك هذه الفتاة يا سيدي.

تبسم الرجل وأومأ له ليكمل المدير:

- رقم هاتفها معي وأستطيع أيضًا إقناعها بمقابلتك في أي وقتٍ مقابل عشرة آلاف جنيه.

نظر له الرجل بدهشة وقبل أن يتحدث استمع لرنين هاتفه ليوافق على المكالمة واضعًا الهاتف على أذنه قائلًا:

- مرحبًا سيد (آدم) أوامرك.

- أريد فتاة لخدمة رجل مسن وأخبرها أنها ستعيش معه في منزل واحد بمفردهما مقابل خمسين ألف جنيه في الشهر ولها يومان إجازة فقط إذا أرادت زيارة أهلها، أحضر لي عشر فتيات وأنا سوف أتحدث معهم وأختار.

نظر الرجل إلى (نورين) ثم أجابه متبسمًا:

- هي موجودة بالفعل لن تحتاج إلى عشر فتيات يا سيدي، غدًا سوف أقدمها لك في المكان الذي تختاره أنت.

- غدًا في التاسعة صباحًا بمنزلي.

قالها (آدم) منهيًا المكالمة ليضع قطعة كبيرة من العلكة في فمه وأخرى في فم الكلب دالفًا إلى سيارته وانطلق ممسكًا بهاتفه متصلًا بأحد رجاله الذي كلفه بقتل (شكري) لا زال هاتفه مغلقا حتى الآن أنزل يده وهو يزفر بضيق وتابع قيادته إلى أن وصل أمام الشركة خرج من سيارته وقفز الكلب ماشيًا بجواره في مشهدٍ جديدٍ على أمن الشركة أن يأتي أحد الموظفين مصطحبًا حيوانًا معه ولكنهم لم يعترضوا لأنهم يعلمون أنه من طرف (نبيل) صاحب الشركة، ظل يخطو بأقدام واسعة إلى أن دلف إلى مكتبه مغلقًا بابه خلفه وجلس على الكرسي ليقفز (بيل) إلى أعلى المكتب ويجلس ناظرًا إليه.

**

يجلس (عمران) في غرفة التحقيق وأمامه رجل مكبلة يداه بالأساور الحديدية ويبدو عليه التعرض للضرب المبرح في وجهه وملابسه الممزقة كانت نتيجة محاولة هروب فاشلة من الشرطة.

- أعتقد أنك من الأفضل أن تتحدث وتقول لي مَن الذي أرسلك لقتل شكري.

قالها (عمران) بهدوء وهو يشعل سيجارة ليرد الرجل بصوته الغليظ:

- من مصلحتك ألَّا تعلم من الذي أرسلني حتى لا يقتلنا معًا.

تبسَّم الضابط ساخرًا من قوله مغيِّرًا نبرة صوته لتصبح أكثر غضبًا:

- لا تقلق، سوف تخبرني وإلا قتلتك رغم أنني أعلم به.

ظلَّ المتهم يضحك ضحكات صاخبة ثم انقطع وسأله:

- ولماذا تريد اعترافي طالما تعلم؟

- اعتراف المتهم دليل إدانة، هيَّا يا صديقي أخبرني ولا تضيع وقتي، أرسلك (آدم) هكذا؟

تبسم الرجل وهو يضع يده على الجرح الذي يتوسط خده الأيمن متحدثًا:

- نعم أرسلني (آدم)، هل تستطيع القبض عليه؟ بالطبع لا، ليس لأنه أخوك بل لأنه يستطيع إقالتك.

حدق (عمران) فيه مندهشًا من ثقته ومن معلوماته عنه ولكنه تظاهَر بالثبات ونهض مقتربًا منه ليصفعه بقوة على وجهه ملقيًا بسيجارته على الأرض منقضًا عليه وهو يصيح:

- لا أحد يستطيع هذا، وقريبًا سوف تلتقي به هنا هو وولي نعمتكم أيها المجرمون.

كان يتحدث وأصابعه ملتفة حول عنق الرجل حتى دلف (ياسر) وأغلق الباب خلفه بسرعة ليمسك به وأبعده عنه قائلًا:

- اتركه سيموت في يدك.

ابتعد (عمران) وهو يلفظ أنفاسه ناظرًا إلى المتهم بغضب ليجلس (ياسر) متحدثًا بهدوء:

- اسمع يا هذا، نحن نعلم بمن أرسلوك ونعلم أنهم هددوك إذا تحدثت عنهم سوف يقتلونك وربما معلوماتك أن هذا الضابط أخو (آدم) تكون صحيحة

وهو من أدلى عليك بها لتهدده إذا قبض عليه، ولكن ما لا تعلمه أننا سنحميك ونقوم بالقبض عليهم في أقرب وقت وأتعهد لك أن أعتبرك شاهد ملك.

نظر المتهم إلى أسفل بحزن ثم نظر إليه متحدثًا بتوسل:

- أنتم لا تعلمون شيئًا عنهم هم ليسوا مجرد عصابة تقوم بأعمال غير شرعية بل هم كدولة سرية مكوَّنة من عدة أشخاص لا يعرفون بعضًا، فربما مثلًا تكون أنت منهم وأنا لا أعلم، اعذرني لا أستطيع قول أكثر من ذلك.

زفر (عمران) متحدثًا بغضب:

- سوف تقول كل شيء رغم أنفك وإلا قسمًا برب الكون سوف أقتلك هنا.

- عمران!!

قالها (ياسر) بحدة وهو ينظر إليه بغضب ليصمت ثم نظر إلى الرجل مرة أخرى وتابع حديثه بهدوء:

- لا تخف أنا شرطي فقط وعمران أخيه صحيح، ولكنه شرطي أيضًا ولن يعلم أحد غيرنا بما ستقوله، تحدث ولا تخف.

تبسم (ياسر) مجيبًا إياه:

انتهى وهو ينهض وأدخل يده في جيبه ليخرج مفتاحًا صغيرًا واقترب من المتهم لينزع من يديه الأساور ثم أخرج علبة سجائره وقدَّم له واحدة وأومأ مبتسمًا حتى التقطها الرجل وقام بإشعالها وبدأ يتحدث بصوت منخفض:

- (آدم) شاب صغير، ولكن عقله داهية يعتبر منفِّذ كل العمليات ومؤلف كل الخطط يليه شخص آخر اسمه ضياء رشدي وهو بمثابة مدير أعماله، ولكنه لا يظهر كثيرًا هو فقط يأخذ معلوماته منه ويعطي الأوامر لرجاله.

- كم عدد رجاله؟

- ليس لهم عدد هم تخصصات فأنا مثلًا مختص بعمليات القتل السري وشخص آخر مختص بعمليات السطو هو ورجاله وآخرون مختصون بالتهريب وهكذا.

- تقصد أن (آدم) يديرهم فقط؟

- نعم، وأحيانًا ينفذ بعض العمليات بنفسه، ولكنها نادرة.

- ومن الذي يرأسه؟

صمت الرجل قليلًا ثم هز رأسه يمينًا ويسارًا متحدثًا:

- رئيس التنظيم نفسه ولا يعلمه أحد.

- اسمه الشمندري؟

حدق إليه الرجل فاتحًا فمه وهو يرد:

- كيف علمت؟!

تبسم (ياسر) مجيبًا إياه:

- لا يهم، أخبرني ما هي خطة هذا الرجل بمعنى ما هدفه؟

- لا أعلم ولكنه سيرحل قريبًا هو وآدم من البلد كلها هذا كل ما أعرفه صدقني.

نهض (ياسر) وأمر (عمران) بالتحفظ على المتهم داخل إحدى الغرف حتى لا يصل إليه أحد ورحل.

**

توقف (ضياء) بسيارته أمام منزل (آدم) وقبل أن يغادر نظر إلى (نورين) التي تجلس بجواره متحدثًا إليها:

- لا تخافي سوف ترتاحين في هذا العمل أكثر من المطعم بكثير.

انتهى وخرج من السيارة طالبًا (آدم) على الهاتف، ولكن قبل سماع الجرس وجده يفتح البوابة قائلًا:

- الساعة الآن التاسعة والنصف، لماذا تأخرت.

اعتذر (ضياء) بإشارة من رأسه ثم طلب من (نورين) الخروج كي تفتح الباب وهي تنظر إليهم بخجل وظلت تقترب بخطوات بطيئة ومدت يدها نحو (آدم) قائلة:

- مرحبًا، اسمي (نورين) عمري خمسة وعشرون عامًا لدي خبرة في الطهي والخدمات العامة.

مدَّ يده مصافحًا إياها وظلَّ متمسكًا بأصابعها الصغيرة داخل كفه متبسمًا إليها فطريقة تقديمها له كانت سريعة وبشرتها البيضاء تزداد احمرارًا ليقاطعها بصوته الهادئ:

- توقفي عن الحديث لقد شرح لي ضياء كل شيء.

سحبت يدها بخجلٍ وهي تنظر أسفلها، وقبل أن تتحدث أمسكها من معصميها بيديه ودفعها وراء السيارة مخرجًا سلاحه من خصره وأطلق الرصاص على سيارة تقترب منهم بسرعة وهو يقول:

- ضياء، خُذ الفتاة إلى الداخل وعُد إليَّ، يبدو أن أحدهم يريد اللعب معنا.

توقفت السيارة في شارع جانبي وخرج منها ثلاثة أشخاص في يدهم أسلحة رشاشة صغيرة ليتراجع (ضياء) والفتاة إلى الداخل ولم يبقَ سوى (آدم) والذي ركض بجوار سور حديقة منزله حتى توقف خلف صندوق قمامة معدني كبير واتخذه ساترًا له، منتظرًا أن يتقدم منهم أي شخص، ولكن يبدو أنهم يعلمون بتحركاته في القتال جيدًا ولم يخرجوا من الطريق الذي استقروا فيه، لحظات وأني (ضياء) ممسكًا بسلاحه وهو يتلفت يمينًا ويسارًا باحثًا عن (آدم) ليتلقى رصاصتان من الخلف ويسقط جثة حدق إليه (آدم) وهو لم يصدق ما حدث لقد قتلوا رجله غدرًا فنهض من خلف الصندوق وركض إلى الجهة الأخرى ليصبح بجوارهم وأطلق من فمه صافرة ثلاثية حتى يأتي كلبه لكنهم أيضًا علموا بمكانه، قرر واحد منهم أن يخدعه وركض من الطريق الآخر حتى يصبح خلفه والاثنان الآخران استعدا للهجوم وهو ممسك بسلاحه غاضبًا من الكلب الذي لم يأت حتى الآن، نجح الرجل الذي غيَّر طريقه وأصبح خلفه مصوِّبًا سلاحه نحوه دون أن يلاحظه حتى قفز الكلب عليه غارسًا أنيابه في رقبته والرجل يصرخ فبدأ الاثنان بالركض نحو ثالثهما مطلقين النار على الكلب ويصبحون فريسة سهلة ل (آدم) والذي أطلق رصاصة اخترقت رأس واحد منهم، نجح الثاني في التصويب على (بيل) وأطلق واحدة كادت أن تخترق صدره ولكنها انحرفت قليلًا مسببة له إصابة في رقبته قبل أن ينقض عليه فصاح (آدم) باسم كلبه وهو يطلق النار على الثالث حتى سقط أرضًا وهو ينزف، بدأ الدم يظهر في رقبة

الكلب ساقطًا أرضًا وظل ينهض ويسقط مرة أخرى، ركض (آدم) إليه جاثيًا على ركبتيه ليحمله ذاهبًا به إلى حديقة منزله ثم تركه بجوار (نورين) التي تعتبر في شبه غيبوبة بسبب ما شاهدته من خلف الباب، عاد (آدم) إلى (ضياء) ليجده قد مات فأغمض عينيه باكيًا، ولكنه استمع إلى حركة من الخلف؛ استدار فرأى أن أحد الرجال لا زال حيًا محركًا قدميه بسرعة والدماء تخر من جسده فذهب إليه جالسًا أرضًا بجواره هامسًا في أذنه:

- يمكنني مساعدتك حتى لا تموت ولكن أخبرني بسرعة من الذي أرسلكم؟

حرك الرجل شفتيه بكلمات غير مفهومة، ولكنه ذكر في النهاية اسم (نبيل) ليعقد (آدم) حاجبيه بتهكم مخرجًا سلاحه وأطلق رصاصة في رأس الرجل حتى مات، أعاد سلاحه في مكانه ونهض حاملًا جثة صديقه ذاهبًا به داخل منزله وتركه بجوار كلبه وجلس أرضًا يبكي عليهما.

وجدت (نورين) ما إن استفاقت جثة (ضياء) والدماء حوله والكلب أيضًا مصاب فصرخت صرخة عالية ليصيح (آدم) في وجهها بغضب:

- اصمتي وكُفّي عن البكاء أيتها الفتاة وإلا قتلتك.

أومأت واضعة يدها على فمها وظلت تبكي في صمتٍ، نهض (آدم) ودلف إلى شقته ثم عاد بحقيبة بها أدوات طبية وألقاها أمام الفتاة متابعًا:

- الكلب ينزف، أخرجي لي الأدوات حتى أسعفه.

اعتدلت (نورين) وهي تخرج ما يطلبه وبدأ يقص لكليه الشعر حول جرحه حتى يتمكن من خياطته ويعقم الجرح وهي تأخذ منه وتناوله حتى قام بخياطة الجرح وحمل كلبه إلى الداخل ووضعه على الفراش ناظرًا إليه بحزن والكلب ينظر إليه كأنه

يبلغه أنه يتألم فتبسم (آدم) قائلًا:

- لا تخف يا صديقي سوف تصبح بخير.

انتهى عائدًا إلى الحديقة حيث تجلس الفتاة فوجدها نهضت مستعدة للذهاب فأوقفها ممسكًا بهاتفه ووضعه على أذنه متحدثًا:

- عمران، يوجد أمام منزلي ثلاث جثث لرجال حاولوا قتلي تعالَ وقُم بضبط القضية كما تشاء دون ذِكر اسمي وعندي من الشهود ما تشاء.

أنهى المكالمة ثم نظر إلى (نورين) متسائلًا بغضب:

- وأنتِ اذهبي الآن وسوف أعاود الاتصال بكِ كي تستلمي عملك.

أومأت بخوف ذاهبة بسرعة فتابع بصوت عالٍ:

- انتظري..

توقفت مستديرة إليه فأكمل بنفس حدته:

- أنا ليس معي رقمك، خذي الهاتف حتى تكتبيه.

ذهبت بخطوات سريعة وهو ينظر إليها بعطف لأول مرة ويتساءل ما ذنب هذه الفتاة المسكينة التي جاءت باحثة عن عمل شريف لترى كل هذا؟!

قبل أن يختفي من أمامه طلبها على الهاتف حتى وافقت على المكالمة ليتحدث بصوت منخفض

- أعتذر منكِ على ما حدث وأشكرك لأنكِ قمتِ بمساعدتي في معالجة الكلب.

أجابته الفتاة بصوت خائف مرتعش:

- لا داعي للشكر، وأتمنى أن تقوم بحذف رقمي من فضلك، لن أعمل عندكم أبدًا.

انتهت وأنهت المكالمة في وجهه لينظر إلى هاتفه محدقًا ثم ضحك بحزن عائدًا إلى الداخل.

**

يقف (يعقوب) أمام طاولة عريضة يجلس بها رجال مدرَّبون على القتل وغيره من الجرائم يستمعون إليه وهو يضع خطة اليوم الثاني لقتل (الشمندري) بعد أن توصَّلوا إلى مكان إقامته وكل تحركاته ولكن أوقفه دخول (نبيل) المفاجئ إلى غرفة اجتماعهم وصاح في رجاله:

- يجب أن تتركوا الجزيرة الآن، منزلي في المدينة أولى بالحماية.

نظر له (يعقوب) عاقدًا حاجبيه فتابع (نبيل) حديثه موجهه إليه:

- أخوك قتل ثلاثة آخرين من رجالي.

حدق فيه وهو يسأله:

- كيف حدث ذلك؟

ليرد زاغ (نبيل) بنظره؛ حيث لم يجد إجابة مناسبة، غير الحقيقة

- لقد أخفيت عنك أنني أرسلتهم لقتل (آدم) ولكنه قتلهم.

ثم نظر أمامه بغضب وأردف:

- لا بُدَّ أن نقتل (آدم) شئت أم أبيت يا (يعقوب).

زفر (يعقوب) وهو يرفع رأسه ناظرًا إليه بتحدٍّ قائلًا:

- إذا استطعت فاقتله، ولكن لن نصل إلى القطع إلا عن طريقة لو مات دُفن معه الكنز كله.

قبل أن يتحدث (نبيل) استمع لرنين هاتفه فأخرجه من جيبه ليجد المتصل (آدم) ازدادت عيناه غضبًا مرددًا:

- لن أرحمك تلك المرة.

وافق على المكالمة واضعًا الهاتف على أذنه ليجد صوت رجل آخر يقول:

- اسمعني جيدًا، أنا أعلم أنك تريد القطع الأثرية مقابل منة مليون دولار وأنا وافقت على بيعهم لك.

حدق (نبيل) وهو يسأله:

- مَن الذي يخاطبني؟!

- أنا الشمندري بنفسي.

از درد (نبيل) ريقه مبتسمًا وهو يرد:

- مرحبًا بسيادتك، لقد سمعت عنك كثيرًا وتلك المكالمة شرف لي.

- اسمع يا هذا أنا لا أحب الكلام المعسول أحضر مالك وسوف أرسل لك رقم حساب بالخارج لتحول عليه المبلغ، وبعد أن أتأكد أن المال وصل في حسابي سوف أرسل لك الثلاث قطع، لا نقاش ولا خيارات أخرى في طريقة البيع معك ثلاثة أيام لتفكر.

أنهى (الشمندري) المكالمة تاركًا الهاتف على الطاولة ثم نظر إلى الكلب الذي استعاد صحته وأصبح يتحرك بشكل أفضل وهمس قائلًا:

- أتعلم يا (آدم) ما يحزنني بحق؟

نظر إليه دون أن يتحدث ليكمل:

- أننا سنغادر البلد دون بيل؛ لأنهم سيتعرفون علينا إذا أخرجنا له تصريح سفر.

نظر (آدم) إلى كلبه بحزن ثم سأل:

- ولماذا نرحل من الأساس؟ نحن هنا نفعل كل ما بوسعنا دون أن يمسسنا سوء، لقد جنينا كثيرًا من الأموال ومعنا القطع الثلاث إذا قمنا ببيعهم واتجهنا لأي عمل مشروع لن نحتاج إلى التهريب مرة أخرى.

تبسم (الشمندري) ونهض ببطء شديد متجولًا في الغرفة بعصاه متحدثًا:

- لقد فاحت رائحتنا ولن ترحمنا الشرطة، ولم يبقَ لي سواك فرجالنا هؤلاء لا تأمن لهم؛ فهم كالذئاب من الممكن أن يعضوك في أي وقت وإخوتك كما ترى؛ واحد منهم اختفى، وربما يدبر لنا مكروه والآخر تحالَف مع الضابط ليقبض علينا كيف سنعيش هنا؟ أنا كبرت

يا بني ولم يعد لي طاقة لخوض المعارك كما كنت أفعل
وأخشى أن يصيبك أنت وإخوتك أي أذى من بعدي
حتى وان ضلوا الطريق يجب أن أتمم مهمتي معهم.

(6)

الخداع الحقيقي يكمن في اعترافٍ غير كامل ليكون الجزء المحذوف صادمًا ومروعًا .

**

تمشي (عائشة) بخطوات بطيئة ممسكة بيد أبيها الذي يتكئ باليد الأخرى على عكازه حتى توقفا أمام إحدى إشارات تنظيم مرور الطريق فتوقفت سيارة ليركبوها وانطلقت نظر سائقها في المرأة متحدثًا في هاتفه:

- خلفنا سيارة تتبعنا اقطع عليهم الطريق.

أنهى المكالمة وهو يسلك طريقًا جانبيًا آخر، وقبل أن تتبعه السيارة التي تراقبه توقفت أمامها شاحنة كبيرة وخرج منها رجل كان يجلس جوار سائقها وهو يصيح مشيحًا بيده:

- تراجع أنت هكذا عكس سير الطريق.

لم يجادله سائق السيارة الملاكي المكلف بمراقبة السيارة ليتراجع سريعًا للخلف حتى أصبح يسير في الطريق الرئيسي واتخذ طريقًا موازيًا لعلَّه يرى السيارة الهاربة منه، ولكنه فقدَ صوابَهُ واختفت تمامًا ليتوقف وهو يضرب سيارته غاضبًا ثم أخرج هاتفه ليطلب (آدم) وأبلغه بما حدث.

استمرت السيارة الأخرى في سيرها و (عائشة) تربت على كتف أبيها حتى يطمئن فهو أصبح مريضًا للغاية ويرى أنه غيرُ قادرٍ على التورُّط في أي خطط أخرى، ظلَّ ينظر جانبه بحزنٍ حتى توقفت بهم السيارة أمام إحدى البنايات ليستقبلهم (ياسر) من النافذة فخرج السائق قبلهم فاتحًا لهم الباب حتى

دلفوا إلى المنزل جميعًا وتم إغلاق الباب خلفهم بإحكام ليصعدوا السلم ببطءٍ شديدٍ مراعاة للعجوز الذي يصعد خطوات ويتوقف دقيقة ليستريح إلى أن توقفوا في الطابق الأول ففتح لهم (عمران) ممسكًا بيد العجوز إلى الداخل وجلسوا جميعًا في الغرفة الكبيرة للمنزل لتبدأ النظرات بينهما تتبادل بشكل مختلف، لا أحد يعلم ما يدور داخل الآخر ليقطع (ياسر) الصمت قائلًا:

- مرحبًا يا سيد شكري.

أومأ العجوز دون أن يتحدث لترد ابنته بحدة:

- أبي مريض لن يتحمل أكثر من ذلك، يكفي ما حدث له في السجن.

اعتدل (عمران) قائلًا بهدوء:

- لن نرهقه صدقيني، فقط نريد أخذ أقواله الجديدة بسرية فقط.

نظر له (شكري) من خلف نظارته ثم نظر إلى أسفل ليحكي بصوت منخفض:

- منذ حوالي عشرة أعوام طلب مني أحد أفراد الأمن أن أتوسط له في إحدى شركات الأمن ليوفر عملًا لصديقه ونسيت أمره حتى اتفق معي (نجيب) على سرقة المتحف عندما زرته في منزله أخبرني أنه كان لديه خادم وترك العمل فتذكرت طلب رجل الأمن حتى يعمل صديقه في ذلك المنزل وأكون في نفسي استحوذت عليه لو حدث أي خطأ في سرقة المتحف وأخذوا أقواله وهو يشيد بي أمام الشرطة.

- رجل الأمن اسمه (توفيق) هكذا؟

قالها (ياسر) لينظر (عمران) إلى أسفل وأكمل (شكري):

- نعم.

- صديقه كان يدعى (ربيع)؟

- لا أتذكر جيدًا، ولكن أعتقد هذا، صديقه هو الوحيد الذي استمع إلى خطة سرقة المتحف في اليوم التالي وبعدها اختفى لذلك أعتقد أن....

قاطعه (عمران) متحدثًا:

- تعتقد أنه أخبر توفيق) أن الحقيبة التي تحتوي على القطع الزائفة داخل مكتبك.

- نعم، ولكن عندما أفكر هكذا يقاطعني سؤال آخر.

مَن الذي قتل (توفيق) ورجل الأمن الآخر (إسماعيل)؟

- بالضبط، إذا اعتقدنا أن ربيع ذهب إليهم وقتلهم فهذا ممكن.

قاطعه (عمران) قائلًا:

- وإذا قلت لك أن توفيق ظهر بعد الحادث بيوم وتحدَّث معي..

وبعدها وجدوا جثته وجثة زميله بجوار المتحف.

- حدق إليه (شكري) وهو يرد

- أول مرة أستمع إلى هذا.

أشعل (ياسر) سيجارة وهو يرمق (شكري) لتتحدث (عائشة):

- الأمر واضح وبسيط.

التفتوا جميعًا إليها لتكمل:

- ذهب (ربيع) لصديقه (توفيق) وقتلا رجل الأمن الذي يدعى (إسماعيل) وبدلا القطع وربما قاما بدفنها بقرب المتحف حتى ينتهي التحقيق، وعندما عادا ليأخذا القطع، قتل (ربيع) صديقه (توفيق) وهرب.
- لا، (توفيق) تعرض للتعذيب قبل قتله وهذا ما ظهر في جسده ووجهه من حروق وقتل الغدر لا يكون هكذا.

صمتت (عائشة) قليلًا ثم سألت:

- مَن الذي جاء ليقتل أبي؟ ولماذا ومن كان يراقبنا ونحن في طريقنا إليكم؟

نظر (ياسر) إليها متحدثًا:

- مجموعة رجال لديهم القطع، ولذلك أنتم هنا وسوف تأتي بوالدتك معكم.

ثم نظر إلى (شكري) وأكمل:

- أعتذر منك عما حدث مني في منزلك، ولكن علمت أن الكلب قام بزيارتكم وهذا يعني أنهم كانوا يستمعون إلينا؛ فأردت أن أضع لك الورقة بالعنوان دون أن يلاحظوا شيئًا، وأنتِ يا أستاذة عائشة سوف أحتاجكِ معنا إذا وافقتِ.

أومأت (عائشة) وهي تقول:

- لا مانع، فأنا أعشق المغامرات.

حدق إليها (عمران) ليضحك (ياسر) قائلًا:

- إنها قضية سوداء كما قلت.

**

استقبل (الشمندري) مكالمة هاتفيه من (نبيل) قبل أن يوافق عليها استدعى (آدم) بصوته الحاد من الغرفة المجاورة حتى أتاه والكلب خلفه كعادتهما.

- نبيل يتصل بي أعتقد أنه حول المبلغ في حسابي بالخارج تأكد أولًا قبل أن أتحدث معه.

أحضر (آدم) جهاز الحاسوب المحمول، ثم بدأ يتصفح حسابتهم البنكية بالخارج حتى وجد أن نصف المبلغ تمت إضافته إلى الحساب ليبتسم قائلًا دون أن يلتفت:

- أضاف خمسين مليون دولار نصف المبلغ المتفق عليه، صحيح؟

أومأ (الشمندري) فطلبه (نبيل) مرة أخرى على الهاتف قبل أن يجيبه نظر إلى (آدم) بطرف عينيه وهو يقول:

- تتبع مكانه خلال تلك المكالمة.

انتهى وقبلها متحدثًا:

- لماذا لم تقُم بتحويل المبلغ كله؟!

- هذا غير منطقي يا سيد شمندري، العقل يقول نصف المبلغ والآخر بعد تسليم القطع.

صمت (الشمندري) وهو ينظر إلى (آدم) حتى وجده يشير له بإيهامه أي: إنه رصد مكانه بالتحديد فتابع العجوز حديثه:

- حسنًا سوف أعاود الاتصال بك.

أنهى المكالمة ونهض ببطء متقدمًا بخطوات ضيقة إلى أن وضع يده على كتف (آدم) متحدثًا بحنوّ:

- أرسل إليه اثنين ليقتلوه حتى يستريح ضياء في قبره.

نهض (آدم) وهو ينظر أمامه بغضب مجيبًا إياه:

- لا لن أرسل أحدًا، سوف أذهب بنفسي.

أغمض العجوز عينيه محاولًا تمالك أعصابه ليرد:

- أمامك يومان وتسافر، ولن أخاطر بك مرة أخرى. نفذ ما أقوله.

- لن يقتله غيري، أسمعت!

قالها (آدم) بصوت عالٍ وتركه ذاهبًا إلى غرفته مرتديًا ملابسه السوداء الجلدية، ثم وضع للكلب الطوق الذي يحتوي على كاميرا ومخالب حديدية، ثم توجه إلى الكومود وأخرج ثلاثة مسدسات نارية، وضع واحدًا خلف ظهره والآخر في خصره والثالث أسفل ركبته وذهب بخطوات سريعة.

- آدم..

قالها (الشمندري) من الخلف ثم تابع:

- لو قتلوك سوف أشعر بالخسارة لأول مرة، هل ترضى لي هذا الشعور!

توقف (آدم) وهو ينظر أرضًا ثم استدار إليه قائلًا بصوت منخفض:

- إذا قُتلت سافر أنت وتمتع بالمال حتى نلتقي في عالم جديد.

تقدَّم (الشمندري) نحوه حتى أصبح أمامه وترك عصاه ممسكًا بقميصه صارخًا في وجهه بصوت عالٍ:

- لا تمُت يا بني أنا أحتاجك ولا أحتاج إلى المال، سمعت؟

عانقه (آدم) بقوة وهو يربت على ظهره مردِّدًا:

- لا تخف سوف أعود.

**

يقف (ياسر) خلف إحدى الأشجار متتبعًا (آدم) حتى ركب سيارته وذهب هو وكلبه حتى يعطي إشارة إلى رجاله أن تحاوط المنزل بحرصٍ؛ فهو يريد أن يختطف (الشمندري) بطريقة سرية ولا يتم إعلان القبض عليه حتى يعلم أين القطع الأثرية، التفت رجال الشرطة حول سور الحديقة والظلام يساعدهم على الاختباء؛ فخرج (عمران) من سيارته التي تقف خلف المنزل وتحدث في جهازه بصوت منخفض:

- (ياسر) بك، يوجد رجل في الغرفة الصغيرة التي تعلو المنزل.

نظر (ياسر) ليرى رجلًا جالسًا في الغرفة وفي يده سلاح رشاش ليمسك بجهازه متحدثًا:

- نور، هل يمكنك القبض عليه دون أن يُصدر أيَّ صوتٍ.

- بالتأكيد، لا تقلق.

قالها الضابط المدرّب ثم ركض متسلقًا السور حتى أصبح بالداخل ثم صعد على حافة النافذة ومنها إلى الطابق الأول متسلقًا العمود الصخري صاعدًا إلى الأعلى بنجاح وانقضَّ على الرجل من الخلف ممسكًا بسلاحه واليد الأخرى على فمه وأسقطه مغشيًا عليه بضربة احترافية ثم تحدث إلى (ياسر) قائلًا:

- انتهى أمره.

استمع (ياسر) إلى الضابط فركض بعدها نحو المنزل مشيرًا إلى رجاله حتى يصعدوا السور فاتحين له ولبقية الجنود البوابة ثم تقدمهم وسلاحه في يده وركل الباب الخشبي المؤدي إلى المنزل مقتحمين له دفعة واحدة منتشرين داخل الغرف في أقل من دقيقة، كانت التعليمات لديهم أن لا يتم الحديث داخل المنزل أو العبث به مهما حدث، فقط عليهم التأمين تاركين البحث عن القطع والقبض على (الشمندري)؛ لرئيسهم، و (عمران).

ظلَّ (ياسر) يدلف غرفة تلو الأخرى مستخدمًا مصباحًا محمولًا في يده مفتشًا في جميع الأركان، ولكنهم جميعًا لم يجدوا شيئًا رغم أن التحريات تقول إن (آدم) اصطحب معه رجلًا عجوزًا ولم يخرج حتى الآن من المنزل، صعد (عمران) إلى الطابق الأعلى دون أن ينيره وظل يفتش داخل الغرف، والغريب بالنسبة لهم أن المنزل كأنه غير مسكون منذ زمنٍ بعيد، صعد إليه (ياسر) حتى أصبح خلفه متحدثًا بصوت منخفض:

- المنزل غامض إلى أبعد حدٍّ، لا أثر لطعامٍ ولا استخدام مياه حتى غرف النوم تبدو وكأنها جديدة.

استدار إليه (عمران) مغمضًا عينيه من إضاءة الكشاف المسلَّطة على وجهه ليرد:

- نفس ما يدور في رأسي، أشعر وكأننا اقتحمنا منزلًا غير الذي نقصده.

قبل أن يتحدث (ياسر) وجدوا مصابيح المنزل كلها أضاءت فأخرجوا أسلحتهم بطريقة سريعة، أحدهم نظر من النافذة والآخر تحدَّث في جهازه اللاسلكي مستعلمًا من رجاله إن كان حضر أحد ولكن المنزل لا زال مؤمنًا بواسطتهم ولم يدخلوا أحد.

- مرحبًا بكم في منزلي.

استمعا فجأة إلى صوت يتخلل آذانهم من كل الاتجاهات التفتوا بأسلحتهم إلى أعلى ليتابع ذلك الصوت

- لا تقلقوا كيف حالك يا (ياسر)؟

ظل (ياسر) يتلفت حوله مادًّا يده التي تمسك بالسلاح ليرد:

- مَن أنت؟

ضحك الرجل الذي يحدثهم ثم أكمل:

- أنا صاحب البيت، لا تنظر حولك كثيرًا لن تراني، كيف تجرؤ وتقتحم بيتي دون إذني، ولكن الخطأ ليس عندك بل عند عمران لأنه لم يخبرك مَن أنا، أنا (الشمندري).

هبطت يد (عمران) وهو ينظر إلى أسفل ليتحدث (ياس) بغضب:

- صدقني لن تفلت مني أبدًا.

ضحك العجوز متحدثًا بصوته الهادئ:

- يمكنني قتلك الآن أنت وكل رجالك، ولكني اكتفيت بخطف ابنتك تلك المرة حتى ينتهي عملنا، أنت مرصود منذ لحظة اقتحامك.

صاح (ياسر) وهو يركض إلى أسفل:

- إذا حدث لها أي مكروه لن أرحمك، أتسمعني.

واصل العجوز ضحكاته بينما (ياسر) يركض خارج المنزل و (عمران) خلفه مشيرًا إلى الجنود بالتراجع.

**

أبحر (آدم) بإحدى السفن المستأجرة من مرسى سياحي بالغردقة متتبعًا هدفه الثابت على شاشة هاتفه المحمول حتى ظهرت أمامه الجزيرة التي يقطن بها (نبيل) كما أوضح له جهاز التتبع ضغط أكثر على يد الوقود حتى رأى القصر بوضوح، ولكن اقتحام الجزيرة نفسها يبدو مستحيلًا بسبب الرجال المسلحين الذين ينتشرون حول القصر وأعلاه مغيرًا خط سيره مبحرًا في اتجاه موازٍ للجزيرة ببُعد يصل إلى أكثر من ألف ميلٍ وتوقف بها من الخلف ناظرًا إلى السماء قد أوشكت الشمس بالطلوع؛ لذلك يجب عليه التنفيذ في الظلام قفز في البحر كي يصبح يغوص بالأسفل فتلك الطريقة من السباحة تُعتبَر آمنة من حيث عدم حدوث أي صوت كلما احتاج صدره الأكسجين صعد برأسه مستنشقًا كمية كبيرة من الهواء عائدًا بها إلى أسفل مرة أخرى وكلبه يسبح خلفه حتى وصلا إلى صخرة ضخمة موضوعة خلف القصر. أراح (آدم) ظهره جوارها محاولاً استعادة طاقته التي

نفدت إثر السباحة ثم نزع حقيبة الظهر الواقية من المياه مطمئنًا على أسلحته أنها لم تصل إليها المياه، أخرج مسدسه واضعًا له كاتم الصوت ونهض وهو يخلع ملابسه المبتلة كي يرتدي غيرها من الحقيبة ناظرًا إلى كلبه وهو يتحرك بخطوات بطيئة حتى يتتبعه الكلب، ظلَّ يمشي بجوار السور إلى أن رمق الحراس

الثلاثة يتبادلون الحديث أمام بوابة القصر فبدل مرمى نظره إلى أعلى ليشاهد اثنين آخرين يقفان أعلى البناية، تراجع للوراء واضعًا المنظار الليلي على سلاحه مصوبًا نحوهما حتى توقفا فأطلق الرصاصة الأولى في رأس أحدهما، وقبل أن يلتفت الثاني أطلق (آدم) رصاصة أخرى اخترقت رقبته فأشار بعدها لكلبه كي يبدأ بالهجوم على حرس البوابة الذين كانوا يترقبون إلى أعلى نتيجة الصراخ الذي حدث، انقض (بيل) على واحدٍ منهم بينما (آدم) ركض من خلفهم مطلقًا الرصاص على اثنين منهم تاركًا الثالث فريسة للكلب، لم ينتظر كثيرًا فهو يعلم أنهم بالداخل استمعوا لتلك الأصوات ما كان عليه إلا اقتحام البناية موجهًا السلاح أمامه حتى استمع لصوت خطوات بالطابق العلوي، التفت حتى وجد الكلب يركض نحوه بفخر لأنه انتصر على الرجل بالخارج فأشار إليه بالذهاب خلفه وبدأ يصعد الدرج ليصبح بالطابق الذي استمع فيه إلى أصوات أقدامهم وظل متأملًا الغرفة بآذان صاغية كي يحدد في أي غرفة هم حتى استطاع تحديد موقعهم ثم همس إلى كلبه قائلًا:

- عددهم ليس كثيرًا، سأدلف إليهم وأنت خلفي، من تنقضّ عليه لا تتركه أبدًا.

ما إن انتهى من أوامره حتى ركض راكلًا باب الغرفة بقدمه موجهًا سلاحه بطريقة عشوائية وهو يصيح:

- لا أحد يتحرك من مكانه وإلا سوف يتلقى رصاصة في رأسه.

ولكنه حدق بذعر عندما شاهد أن بالداخل أخوه (يعقوب) و (نبيل) فقط حاول (نبيل) إطلاق النيران على (آدم) ولكن رصاصته طائشة ارتطمت بالحائط، في نفس اللحظة اندفع الكلب منقضًا على (يعقوب) حتى أطلق (آدم) رصاصة في بطن (نبيل) لتسقطه أرضًا والدماء تسلك سبيلها إلى الأرض، صرخ (يعقوب) وهو يدفع الكلب بيده قائلًا:

- آدم أوقف كلبك.

انتهى و (بيل) قدماه الأماميتان على صدره وسقط به أرضًا حتى أمسك (آدم) بفم كليه قبل أن يقتل أخاه صارخًا فيه:

- توقف يا بيل هذا أخي.

لم يستجب الكلب لأوامر صاحبه ولا زال يحاول قتل (يعقوب) فهذا الكلب المفترس رغم ذكائه وإنصاته لصديقه إلا أنه طالما استمع إلى أمر منه لا يستجيب لأي أوامر أخرى حتى ينتهي منه. جلس (آدم) فوق كلبه محاولًا سحبه للخف، ولكن جسده قوي وإرادته تجعله أكثر توحشًا ما كان على (يعقوب) إلا الصراخ ودفع الكلب حتى استطاع الابتعاد عنه قليلًا بعد أن أصيب في صدره بواسطة مخالبه، عانق (آدم) الكلب من الخلف صائحًا في أخيه:

- اهرب يا يعقوب.. اهرب سوف يقتلك.

نهض (يعقوب) ولكنه لم يستجب هو الآخر، وأمسك بالسلاح الذي سقط من يد (نبيل) مصوبًا إياه نحو (بيل) متحدثًا بغضب:

- لن أذهب قبل أن أقتله.

التفت (آدم) محدقًا إليه بسخط ولا زال الكلب يحاول الإفلات من يديه ليكمل ما بدأه:

- إذا قتلته سوف أقتلك وإذا قتلتني سوف يقتلك، اختر أنت يا يعقوب والنافذة خلفك وأسفلها مسبح.

قالها (آدم) وهو يترك كلبه راكلًا السلاح من يد أخيه متابعًا بصوت عالٍ:

- اقفز من النافذة يا يعقوب.

لم يجد (يعقوب) حلًّا آخر للهروب من هذا الحيوان المفترس إلا أن يلقي بجسده من النافذة فأمسك (آدم) بكلبه مرة أخرى قبل أن يقفز وراءه.

(7)

من قال إن البقاء للأقوى؛ دائمًا البقاء للأذكى.

**

دلف (ياسر) منزله مهرولًا ينادي على ابنته في كل مكان، ولكن لا مجيب المنزل يبدو عليه أثر شجار قد حدث وتسبب في كسر الطاولة الزجاجية، أصبح صوته يرتفع كأنه فقدَ عقله، يقوم بإزاحة كل شيء أمامه مرددًا اسمها ليأتي (عمران) محاولًا إيقافه عنوةً ليجلس ناظرًا إليه في أسف وهو يقول بحزن:

- لقد فعلوها يا عمران لقد انتصروا.

نظر الآخر إليه محاولًا تخفيف مصيبته قائلًا:

- لا يستطيعون إيذاءها صدقني هي بالنسبة لهم كارت حماية ليومين لتتركهم يرحلون من البلد.

صاح (ياسر) فيه:

- لن أتركها لهم، ابنتي سوف تنام بين يدي قبل طلوع الشمس.

ثم نظر إليه محدقًا وهو يتابع:

- كيف علمت أنهم يدبرون للسفر خلال يومين.

ارتبك (عمران) ثم نهض وهو يرد:

- لا وقت لذلك، سوف أخبرك لاحقًا الأهم ابنتك دعني أُهاتف (آدم)

أومأ (ياسر) بيأس فأخرج الآخر هاتفه طالبًا أخاه ولكن هاتفه مغلق، قبل أن يعلن ذلك استمعا إلى رنين هاتف (باس) وافق على المكالمة بعجلٍ ويضع الهاتف على أذنه:

- لا تخف على ابنتك فهي في يدٍ أمينة، السيد الشمندري يطلب منك فقط تقديم استقالتك وأن تتركه وشأنه حتى يغادر، وبمجرد أن تحلق الطائرة ستكون ابنتك في منزلها.

نهض (ياسر) وهو يسأله منفعلًا:

- مَن أنت وأين ابنتي أقسم بالله سوف تندمون.

وجد الاتصال انقطع ليجلس مرة أخرى شارد النظر ثم تحدث بصوت منخفض إلى (عمران)

- المكالمة من رقم مجهول، ومن المؤكد أن تتبع الشريحة لن تقودنا لشيء.

- ماذا قال لك؟

- طلب مني تقديم استقالتي.

فتح (عمران) فمه متراجعًا للوراء ثم سأله:

- وماذا سنفعل معهم؟

نهض (ياسر) مخرجًا سلاحه متحدثًا وهو ينظر أمامه بغضبٍ:

- سوف أقبض على أخيك (آدم) وإن استدعى الأمر قتلي.

ثم نظر إليه وأردف:

- أو قتله.

**

توقف (آدم) بسيارته أمام منزله مترجلًا منها محدقًا إلى البوابة الحديدية التي كانت مفتوحة على مصراعيها؛ فركض إلى الداخل وكلبه بجواره دالفين إلى المنزل مغلقًا الباب وراءه.

تابع سيره بخطوات سريعة إلى الممر نازعًا البرواز المعلق ويدلف إلى الشقة السرية مناديًا على الشمندري فوجده مسترخيًا على الأريكة يغط في نوم عميق فتنهد (آدم) بعد أن اطمأن عليه وجلس بجواره ملقيًا بالحقيبة على الكرسي المجاور ثم انتزع حذاءه بتوجع ليفتح العجوز عينيه وهو يتبسم قائلًا:

- حمدًا لله على سلامتك.

بادله (آدم) نفس الابتسامة وهو يرد

- قلت لك إنني سأنجو.

اعتدل (الشمندري) حتى أصبح في وضع الجلوس ملتقطًا زجاجة مرتشفًا رشفة كبيرة ثم نظر للكلب معلقًا:

- يبدو أنه بذل مجهود وأنت أيضًا، هل قتلت نبيل؟

أومأ (آدم) مخرجًا علبة سجائره وأشعل واحدة متحدثًا:

- قتلته هو ومَن معه إلا شخصًا واحدًا تركته يهرب.

التفت إليه وهو يسأله:

- لماذا؟

زفر (آدم) ثم تحدَّث بحزنٍ:

- لأنه أخي (يعقوب).

أمسك (الشمندري) بعصاه ونهض غاضبًا وهو يقول:

- ولماذا لم تقتل هذا الخائن.

- لا يمكن، مهما فعل لن أقتله فهو أخي الكبير.

- وماذا عن أخيك عمران؟!

رفع (آدم) حاجبه ليتابع الآخر:

- أعلمت أنه اقتحم المنزل منذ ساعات هو و (ياسر عز الدين) ورجال الشرطة وألقوا القبض على أمن المنزل.

حدق فيه (آدم) وهو يهمس:

- لا يمكن، وهل لاحظوا شيئًا؟

- كانوا بالمنزل الخارجي، ولولا أنني أرسلت من يختطف ابنة (ياسر) وهددته بها لكانوا اكتشفوا هذا المنزل.

نهض (آدم) بفزع وهو يقول:

- ماذا!! اختطفت ابنة الضابط!!

- نعم هي المفتاح الوحيد كي نخرج آمنين من البلد.

نظر (آدم) إليه بغضب متحدثًا:

- ولكن هذا سيجعله كالكلب المسعور وليس بعيدًا أن يأتي ويهدم المنزل كله حتى يعثر علينا.

استدار إليه (الشمندري) ورمقه من أسفل إلى أعلى ليقول:

- لن يستطيع أن يفعل أي شيء وابنته معنا، اذهب إلى غرفتك واسترح لأنك غدًا سوف تستلم جواز سفرك وبطاقتك الجديدة لترحل في اليوم التالي إلى تركيا.

- وأنت!!

- أنا لا أحد يعلم عني شيئًا، حتى وجهي لا تعلمه الشرطة سوف أظل هنا حتى أبيع القطع وألحق بك.

- وإخوتي؟!

تبسم (الشمندري بحزن ليجيبه:

- لا تخف لن أفعل بهم شيئًا، ومَن أراد أن يلحق بنا ساعدناه ومَن حاول أن يمنعنا قتلناه لا تحدثني في أمرهم مرة أخرى.

أومأ (آدم) مشيرًا إلى كلبه كي يأتي وَراءه إلى الغرفة، أما الشمندري) وجد إشارة صوتية آتية على جهاز التنصت المزروع في مكتب رئيس المباحث فارتدى سماعة الرأس وبدأ يستمع «لا يا (ياس) هم ليسوا بهذا الغباء حتى يضعوا ابنتك في هذا المنزل بالطبع لديهم منازل أخرى، لا تقلق لن نترك ابنتك بين أيديهم كثيرًا».

**

استيقظ (نبيل) واجدًا نفسه على الفراش في إحدى الغرف يبدو أنها العناية المركزة بإحدى المستشفيات حاول النهوض ولكنه شعر بالم شديد في ظهره فصرخ متذكرًا الطلقة النارية التي استقرت في ظهره قبل أن يفقد وعيه استمعت الممرضة إلى صراخه فأنت إليه مهرولة وهي تحاول إعادة جسده كما كان ليسألها:

- أين أنا، وكيف أتيت إلى هنا؟

- أنت في مستشفى غير مشروعة، ليس لها اسم ومن أتى بك موجود بالخارج وأعتقد أنه لديه معلومات أكثر مني.

تنهد (نبيل) متحدثاً بصوت مرهق:

- أود التحدث إليه من فضلك.

خرجت الممرضة البدينة وأغلقت الباب خلفها دون أن تتحدث إليه ليغمض عينيه بيأس حتى استمع إلى صرير الباب وهو يفتح ودلف رجلٌ ضخم الجسد أصلع الرأس يبدو أنه ينتمي إلى بلدان جنوب أفريقيا من لون بشرته وملامحه الغليظة، كان يرتدي بدلة سوداء ضيقة تظهر عضلاته كاملة فاقترب منه جالسًا على حافة الفراش وتحدَّث بجمود دون أن ينظر إليه:

- أنت مديون لي بخمسة ملايين دولار قبل أن نتحدث.

نظر له (نبيل) بدهشة ليسأله:

- أنت الذي أتيت بي إلى هنا؟

- نعم يا سيد نبيل، ليس فقط، بل أنا من قتلت الذي أطلق عليك الرصاص.

حدق إليه متسائلًا:

- ماذا تقول، قتلت آدم؟!

- لا أعلم اسمه ولكنني كنت أمر بقاربي قرب قصرك فلمحت شجارًا يحدث من النافذة وعندما وصلت وجدت رجلًا مصابًا أطلقت عليه الرصاص وقتلته

وصعدت إلى أعلى وجدتك يهرب تزف فأتيت بك إلى هنا قبل أن تموت.

- أشكرك، ولكن ماذا عن (يعقوب) هل قتله؟

- لا أعلم كانت الجثث كثيرة ولم يبقَ أحد على قيد الحياة غيرك.

تنهد (نبيل) محاولًا الاعتدال متحدثًا:

- لماذا تريد خمسة ملايين تحديدًا؟

نظر له الرجل الأسود متحدثًا:

- لأن ابنتي مريضة وتحتاج إلى عملية جراحية بالخارج ثمنها خمسة ملايين دولار.

تبسم (نبيل) بمكر وهو يرد:

- سوف أعطيك كل ما تحتاجه ولكن لدي شرط.

نظر له الرجل بغضب فارتبك الآخر متابعًا:

- من الممكن أن نغير المصطلح إلى خدمة إنسانية مقابل خمسة ملايين آخرين.

**

استيقظ (آدم) على صوت (الشمندري) وهو يوقظه لاستقبال السيارة التي سوف تأتي بعد قليل بالفتاة المختطفة ابنة (ياس) نهض من فراشه ممسكًا بعلبة سجائره مشعلًا واحدة ناظرًا حوله بتهكم لأنه مرهق ولم ينم أكثر من ثلاث ساعات نظر إلى العجوز متحدثًا:

- أين هم الآن؟

نظر (الشمندري) في ساعة الحائط ثم أجابه:

- أمامهم ثلاث دقائق، ولن يتوقفوا أمام المنزل أكثر من عشر ثوانٍ.

أومأ (آدم) مرتديًا سرواله وخرج من غرفته بجسد متأرجح كالسكارى من قلة النوم فاتحًا باب المنزل السري متجهًا إلى الشقة التالية ومنها إلى الحديقة، وظل واقفًا أمام البوابة مغلقًا عينيه بسبب أشعة الشمس المسلطة على وجهه، مرت لحظات وتوقفت أمامه سيارة بضائع ذات صندوق خلفي صغير وخرج منها رجلان مصافحين إياه على عجل ثم اتجها إلى صندوق السيارة مترقبين حولهما بحرصٍ ليمدّ أحدهما يدَهُ ويسحب الفتاة المكبَّلة والتي كانت مغطاة الوجه حتى لا ترى أين هي، ولكن استسلامها لهم جعل (آدم) يشفق عليها دفعها أحدهم كي تسير أمامه داخل المنزل فأبعدهما عنها الآخر قائلًا:

- كفى يا رجال ارحلوا أنتم.

اتجه الرجلان إلى السيارة ودلفا إليها منطلقين، أمسك (آدم) الفتاة من ذراعها حتى دلف بها إلى المنزل هامسًا في أذنها:

- أعتذر عما حدث لن يمسسك أيُّ سوءٍ هنا صدقيني

كان يشعر بأنين الفتاة المكتوم حتى أمسك بسكين كان موضوعًا على الطاولة وقطع لها الحبل محررًا يديها إلى منزله السري مغلقًا الباب خلفه، ثم نزع من رأسها القناع متابعًا:

- اجلسي ولا تخافي.

نظرت له بعينين قد تمزَّق جفناها من البكاء، ولكنها لم تتحدث بعد، أحضر (آدم) كوبًا من الماء ووضعه أمامها قائلًا:

- تبدين جائعة، سوف أحضر لكِ الطعام.

- ما رأيك أن تذهب معها إلى المصيف!!

قالها (الشمندري) من خلفه ولكنه استدار سريعًا قبل أن ترى وجهه وتابع غاضبًا:

- مَن الذي نزع الغطاء عن عينيها، ضع لها القناع.

نظر إليه (آدم) غاضبًا ثم أمسك بالقناع الأسود وتبسَّم لها بحرج لتقدم له رأسها دون أن يطلب التفت (الشمندري) عندما اطمأن أنها الآن لن تراه واقترب منها ممسكًا بشعرها من الخلف قائلًا بصوته الغليظ:

- اسمعي سوف تهاتفين أبوكِ الآن؛ أخبريه أن يقدم استقالته ويسافر إلى الإسكندرية الليلة هو وعمران وإلا سوف أقتلك.

ظلت الفتاة تبكي و (آدم) يرفع حاجبه ناظرًا إليه بغضب متمردًا على تلك الأفعال فتابع العجوز:

- اطلب (ياسر).

أتى (آدم) بهاتف التمويه الذي لا يتيح لأحدٍ أن يتتبع مكانه أو معلوماته ثم اتصل بالضابط وفتح مكبر الصوت ووضع الهاتف على الطاولة ولكنه لم يأتِ بردٍّ عاود الاتصال مرة أخرى ولم يحدث جديد.

ضحك (الشمندري) ساخرًا ثم تحدث إلى الفتاة:

- يبدو أن أباكِ نائم ولا يبالي لاختطافك.

اقترب (آدم) منه هامسًا:

- الفتاة ليس لها ذنب، ولا يمكن أن نتركها هكذا دون طعام أو هواء.

رمقه العجوز ثم أمسكه من معصمه متحركًا به إلى إحدى الغرف حتى دفعه إلى الحائط متحدثًا:

- ماذا حدث لك، أين (آدم) الذي مات قلبه، أين (آدم) الذي كان يأكل العظام وهو صغير؟!

تنهد (آدم) رافعًا رأسه وهو ينظر إليه مجيبًا بهدوء:

- (آدم) الذي تتحدث عنه هو الذي يقف أمامك الآن، هو الذي لم يعد يستطيع أن يرى انعكاسه في المرآة، قل لي أنت لماذا نفعل كل هذا؟ أين السعادة؟ هل تعتقد أنها في جني الأموال والقتل والهروب طوال الوقت!

تبسم (الشمندري) بمنتصف شفتيه معلقًا بصوت منخفض:

- السعادة!! ومَن قال لك إنني أبحث عن السعادة، أنا أصنع السعادة التي لم أحصل عليها لك، لم أفكر في نفسي ولو لدقيقة حتى أحميك من الفقر، حتى لا تجد نفسك ذليلًا طوال الشهر من أجل إسعاد آخرين يرمون لك بضعة نقود في النهاية.

ثم هزَّ رأسه يمينًا ويسارًا وأردف:

- لم أتوقع يومًا أنك ستتمرد على من ربَّاك وعاش لأجلك، على كلٍ حال سترحل اليوم خارج البلاد وتصبح حرًا لديك مليارات الجنيهات، تزوج وأنجب أطفالًا وعِشْ الحياة كما تريد، عندها ستتذكرني

وستعلم ماذا فعلت لأجلك ربما حينها أكون تحت التراب.

أغمض (آدم) عينيه محاولًا حَبْسَ دموعه بالداخل، ولكنها خرجت قهرًا متسللة وجنتيه ليعانقه بقوة معتذرًا منه حتى استشعر يد العجوز وهي تربت على كتفيه فتبسم قائلًا وهو يبكي

لا تكترث لما قلته أنا أقدر كلّ ما فعلته لأجلي.

تراجع (الشمندري) وهو يضع كفيه على خدي (آدم) متحدثًا بعطف:

- لا تقل ذلك مرة أخرى، أنت قوي وأريدك هكذا إلى النهاية عاهدني.

أومأ (آدم) وهو يرد:

- أعدك يا....

قاطعه صراخ الفتاة بالخارج؛ فركض إليها حتى وجد الكلب يلتف حولها مشتمًا جسدها، توقف (آدم) أمامها وهو يزفر بقوة ثم أمسك بكلبه متحدثًا إليها:

- لا تخافي، إنه بيل كلبي، ولن يؤذيكِ.

ثم اقترب منها ونزع عن رأسها القناع متابعًا:

- يمكنكِ مشاهدته قليلًا قبل أن يأتي العجوز.

ظلت الفتاة تنظر له برعب فراغ (آدم) إلى كلبه ليقترب منها جالسًا ووضع رأسه على ركبتيها، بدأت الفتاة تتبسم وتنظر إليه مقتربة بيدها من رأسه حتى أومأ إليها متبسمًا فبدأت

تمرر يدها على شعره متسعة ابتسامتها رغم المكان المجهول الذي تجلس به.

**

يجلس (عمران) في مكتبه متصفحًا شاشة هاتفه قارئًا خبرًا جديدًا عن حادث مروع بإحدى الجزر التابعة لمحافظة البحر الأحمر بقصر أحد رجال الأعمال، أدى إلى مقتل خمسة أشخاص مسلحين ولا زال القاتل مجهولًا ولم يترك وراءه غير قطعة من العلكة السوداء الممضوغة. أكدت أيضًا التحريات عن اختفاء صاحب القصر المدعى (نبيل العوضي) ولا زال البحث جاريًا.

تبسم (عمران) ساخرًا عندما علم أن أخاه هو مرتكب الجريمة تاركًا وراءه علكته السوداء كأسلوب فخرٍ بما صنعه، أمسك هاتفه طالبًا رقم ما، ولكنه وجد الباب يُفتح بقوة وولج إليه أحد زملائه قائلًا بفزع:

- (ياسر) بك يجهز القوات، يبدو أنه اكتشف أمرًا ما يخص قضيته.

نهض (عمران) محدقًا فيه وهو يقول:

- لا يمكن، هل تعلم إلى أين هو ذاهب؟

ظلَّ الآخر يلفظ أنفاسه سريعًا متحدثًا:

- لا، ولكني متأكد بأنها سوف تصبح معركة شخصية.

تحرك (عمران) وهو يضع سلاحه في خصره راكضًا إلى أسفل ليجد ثلاث سيارات انتشار سريع ومدرعة شرطية قد تجهزوا

بالجنود و (ياسر) يستعد حتى يركب سيارته أمامهم فواصل ركضه إليه راكبًا بجواره قائلًا:

- ماذا تفعل؟!

تبسم (ياسر) وهو يجيبه:

- لا تقلق، سوف أفعل ما كان عليّ فعله منذ البداية، قالها وهو يضغط بقدمه على دواسة الوقود لتندفع السيارة بقوة والقوات خلفه.

(8)

الحب مثل الحرب كلما زاد عشقك كلما نفدت طاقتك لينتهي الحال بك وأنت في خسرانٍ مبين.

**

ركب (آدم) سيارته والكلب بجواره وانطلق اليوم يعتبر اللقاء الأخير بينهما سيودع كلبه الوفي ويرحل خارج البلاد، رغم الحزن الذي يحتل قلبه بسبب فراقه، إلا أنه قرر أن يأخذه في جولة طويلة للتنزه في أحد المطاعم والحدائق الواسعة، ربما سيلعبان كالأطفال حتى المساء ويعود به إلى منزله ويأخذ حقيبته كي يسافر، كان يقود سيارته وينظر إليه من وقت إلى آخر، يبتسم له ويضع يده على رأسه حتى توقف أمام إحدى الحدائق العامة وترك السيارة فاتحًا بابها ليخرج الكلب أمامه فركض (آدم) خلفه قائلًا بدعابة:

- إذا لحقت بك سوف أعيدك للمنزل.

ركض الكلب بقفزات عالية وهو ينظر خلفه إلى صاحبه حتى اختبأ منه خلف إحدى الأشجار الضخمة فأمسك به (آدم) وعانقه بقوة حتى سقط الاثنان أرضًا، كانت المرة الأولى لهذا الشاب أن تنسخ ملابسه ولم يكترث لم ينهض مصففًا شعره كعادته، ظل نائمًا أرضًا على ظهره والكلب فوقه يلعق جبينه كأنه يأكله وهو يضحك بصوتٍ عالٍ حتى توقف فجأة فاتحًا فمه وهو ينظر بعيدًا أقصى يساره، إنها هي لم ينسَ ملامحها رغم شدة الموقف الذي التقى بها فيه، أبعد كلبه وهو ينهض ببطء وظل ينظر إليها حتى تتذكره ولكنها لم تلاحظه، حاول أن يتذكر اسمها ثم اقترب منها

وهو يسألها:

- اسمك (نورين) هكذا؟

أومأت برأسها وهي تجيبه:

- نعم هل تعرفني؟

تبسم لها متحدثًا:

- أنا (آدم) الذي كنت...

قاطعته الفتاة وهي تشهق واضعة يدها على فمها ثم قالت:

- تذكرتك، أعتذر لا بُدَّ أن أذهب.

قالتها وهي تحاول الابتعاد فأمسك بيدها قائلًا:

- لا تخافي كل ما شاهدتِه ليس لي به أي علاقة، سوف أشرح لكِ...

قاطعته (نورين) بطريقتها الطفولية:

- لا أريد أن أستمع إليك، أنت قاتل شرير.

ضحك (آدم) ثم رمق كلبه والذي كان يحرك ذيله ناظرًا إليها.

- كما ترين بيل أيضًا يتذكرك رغم أنه كان مصابًا.

نظرت إلى الكلب منحنية وهي متبسمة واضعة يدها على ظهره قائلة:

- كلب جميل، لقد ظننت أنه قد مات.

- لا هو بخير.

اعتدلت الفتاة متظاهرة بالجدية أمامه مرة أخرى متسائلة:

- وأنت ماذا تريد مني؟ أنا لن أعمل في منزلك مهما حدث.

اتسعت عينا (آدم) وهو يتأملها؛ فتاة جميلة لها شعر بني وعينان واسعتان تسرق قلب كل من ينظر إليهما، ابتسم لها مرة أخرى ثم نظر إلى أسفل متحدثًا:

- لن أحتاجك للعمل في منزلنا، سوف أسافر الليلة. أنا سعيد فقط برؤيتك مرة أخرى لأنني شعرت بالحرج منكِ يومها.

نظرت له الفتاة، ولا زالت تتحدث إليه بعصبية لا تليق بصوتها أو ملامحها لتسأله مرة أخرى:

- إذًا لماذا أوقفتني؟

زفر (آدم) وهو يرفع عيناه إلى أعلى ثم نظر إليها مجيبًا:

- أوقفتك لأعتذر لكِ، والآن يمكنكِ الذهاب.

انتهى وهو يشير إلى كلبه حتى يواصل اللعب معه أما هي ظلت واقفة تشاهدهما متبسمة، ثم أخرجت هاتفها وتحدثت فيه قليلًا لينظر لها (آدم) وهو يحمل كلبه متحدثًا بصوتٍ عالٍ:

- إذا كنتِ تهاتفين حبيبك كي يأتي ويتشاجر معي أخبريني حتى أهرب.

ضحكت (نورين) مقتربة منه حتى توقفت أمامه وردت:

- لا كنت أهاتف أبي وأخبره أنني سوف أتأخر ساعة أخرى حتى ألعب مع الكلب.

ترك (آدم) كلبه يسقط أرضًا ناظرًا إليها بدهشة وهو يسأل:

- صحيح؟! سوف تلعبين معنا.

هزت رأسها يمينًا ويسارًا وهي تجيبه:

- لا، مع الكلب فقط.

ضحك (آدم) ضحكة عالية كأنه لأول مرة يضحك من أعماقه ثم توقف وهمس إليها:

- حسنًا لا مانع، ولكن الكلب يريد أن يأكل شرائح اللحم المشوي على الطاولة هناك، هل ستأكلين معه؟

أومأت وهي ترد:

- نعم أنني جائعة.

أشار إليها بالسير بجواره والكلب خلفهما، ربما هو لا يعلم حتى الآن لماذا يفعل كل ذلك، لا يعلم إلا شيئًا واحدًا أنه نسي أمامها كل أخطائه وكأنه وُلدَ من جديد، تلك الفرصة التي ينتظرها أي رجل أن يولد من جديد في قصة جديدة تتيح له حياة هادئة.

توقفا أمام الطاولة وسحب (آدم) الكرسي لها لتجلس أولًا ثم جلس أمامها ناظرًا إلى كلبه قائلًا:

- بيل، اذهب أنت حتى مع القطط في الحديقة ولكن لا تؤذِهم.

ركض الكلب بعيدًا لتنظر إليه (نورين) متسائلة:

- كيف يستجيب لك هكذا، هل يفهم ما تقوله؟؟

- نعم يستمع إليَّ ويفهم ما أقوله مثلك الآن تمامًا.

- مثلي؟!

- أقصد في الفهم.

ضحكت (نورين) بملامح بريئة ناظرة إلى أسفل وقبل أن يتحدث (آدم) وجد رجال الشرطة منتشرين في الحديقة ومجموعة أخرى تقترب منه بقيادة (ياسر). نهض فجأة قائلًا بجدية:

- (نورين)، اذهبي أنتِ الآن بسرعة.

فزعت الفتاة فهي لا تعلم شيئًا ولكنها نهضت تسأله:

- ماذا حدث؟

نظرت حولها لترى مشهدًا جديدًا عليها لم تشاهده من قبل لاحظ الكلب أن صاحبه في خطر فأتى مسرعًا متوقفًا بجواره فصاح(آدم) فيه:

- (بيل)، لا داعي للهجوم فقط اذهب مع (نورين) ولا تنظر وراءك مهما حدث.

ثم نظر إلى الفتاة وصاح في وجهها:

- هيَّا اذهبي أنتِ.

ركضت (نورين) والكلب بجوارها بينما (ياسر) سلاحه في وجهه قائلًا:

- كما ترى رجالنا في كل مكان لا داعي للمقاومة.

أومأ (آدم) وهو يجيبه:

- لماذا أقاوم الشرطة وأنا لم أفعل شيئًا يخالف القانون؟

ما إن انتهى حتى وجد رجلين ممسكين به واضعين الأساور الحديدية في يديه وساقوه إلى السيارة. توقفت (نورين) بعيدًا وهي تنظر إليه بحزن والكلب ينظر في الاتجاه الآخر كما أمره صاحبه.

**

استرد (نبيل) كامل صحته ولكنه ممنوع من مغادرة الغرفة حتى يأتي الرجل الذي أحضره إلى هنا منذ أسبوع، رفض أمن المشفى حتى أن يعيدوا له أغراضه مثل هاتفه المحمول أو بطاقة هويّته وما شابه، بعد شجار صوتي استمر بينهم لأكثر من ساعة عاد إلى فراشه وجلس يائسًا منتظرًا (ناصر المحمدي الرجل الأفريقي كما أبلغه مسؤولي المنشأة، مر قليل من الوقت حتى استمع لطرق على الباب فأذن للطارق بالولوج حتى وجده أمامه، نهض (نبيل) وهو يقول بغضب:

- تلك المستشفى سوف أغلقها إذا لم يسمحوا لي بالخروج.

نظر له (ناصر) كعادته بملامحه المتجمدة، ثم رد بجدية وهو يفتح الثلاجة ممسكًا بزجاجة المياه قبل أن يرتشف:

- لا داعي لذلك، تلك أوامري ويجب عليهم تنفيذها.

رمقه (نبيل) بحدة متسائلًا:

- ولماذا ترفض خروجي إذا؟

ظل (ناصر) يحتسي المياه بشراهة كأنه ظمآن منذ أيام ثم جلس متحدثًا:

- أنت مديون لي بعشرة ملايين دولارات أنسيت؟

تبسم (نبيل) بدهشة ثم اقترب منه وهو يجيبه:

- قلت لك سوف أعطيك ما كل ما تريده ولكن دعني أخرج كيف أعطيك المبلغ وأنا هنا.

أخرج (ناصر) دفتر شيكاتٍ من جيبه وقلمًا، ثم وضعهم على الكومود معلقًا:

- هكذا.

عقد الآخر حاجبيه قائلًا:

- لا أفهمك، ومع ذلك لا مانع.

انتهى ممسكًا بالقلم وبدأ يكتب الشيكات بالمبلغ المطلوب ثم سأله:

- هل تأكدت بنفسك أن (آدم) مات؟

أخذ (ناصر) الشيكات ثم نظر إليه متبسمًا وهو يرد:

- لا، لم يمت.

التفت إليه (نبيل) ليتابع الآخر:

- نفذت ما طلبته مني وذهبت إلى منزله وجمعت كل المعلومات حتى اكتشفت أنني قتلت شخصًا يدعى (يعقوب توفيق) بدلًا من الذي كنت أظنه.

نظر (نبيل) إلى أسفل ثم رفع حاجبه وهو يسأله:

- وأين (آدم) الآن؟!

- ألقي القبض عليه.

حدق فيه متسائلًا:

- ماذا؟!

- كما سمعت، ولكنه سيخرج قريبًا لعدم ثبوت أي تهمة عليه هل تريد مني شيئًا آخر؟

قالها وهو ينهض.

هل يمكنني الخروج الآن؟

قالها (نبيل) غاضبًا فردَّ عليه (ناصر) وهو يفتح الباب:

- نعم، وأتمنى أن تسامحني عما فعلته معك.

انتهى خارجًا من الغرفة بخطوات سريعة حتى وصل إلى الطابق الأرضي، دفع باقي المستحقات للمشفى ثم خرج من البوابة الرئيسية ليجد سيارة في انتظاره دلف إليها فسأله سائقها:

- أين الشيكات؟

أعطاها له (ناصر) وهو يرد:

- نفذت ما طلبته مني بالحرف يا سيد (يعقوب).

نزع (يعقوب) نظارته الشمسية متحدثًا قبل أن ينطلق بالسيارة:

- الآن يمكننا قتل الشمندري قبل الإفراج عن آدم.

- *اقفز من النافذة يا يعقوب.*

لم يجد (يعقوب) حلًّا لا آخر للهروب من هذا الحيوان المفترس إلا أن يلقي بجسده من النافذة فأمسك (آدم) بكلبه مرة أخرى قبل أن يقفز وراءه.

سقط في المسبح واضعًا يده على الجرح الذي أحدثه له كلب لكنه لا زال يستطيع الركض حتى لا يتعرض للخطر مرة أخرى ظلَّ يركض حتى وصل إلى السفينة ثم ركبها إلا أنه وجد رجلًا أسود البشرة قوي البنيان ينقض عليه واضعًا سلاحه أسفل رقبته من الخلف ليرفع (يعقوب) يديه إلى أعلى متحدثًا:

- مَن أنت؟!

- أأنا صياد على تلك الجزيرة، استمعت لإطلاق رصاص فأتيت.

زفر (يعقوب) وهو يرد بغضب:

- إذن سلاحك يُرفع في وجه الرجل الخطأ، أنا ليس لي ذنب.

أنزل الرجل سلاحه وهو يسأله:

أين صاحب هذا القصر؟

- قتلوه

- مَن؟!

- رجل معه كلب

نظر (ناصر) بعيدا وهو يقول:

- هما اللذان يذهبان بعيدا هكذا؟!

نظر (يعقوب) فرمق قاربهما قد أبحر وابتعد عن الجزيرة ليرد:

- أعتقد ذلك.

@ART_OF_BOOK

- حسنًا، تعال لنعود إلى القصر سنجد أشياء كثيرة مثل الأسلحة وغيرها.

قالها وهو متجه إلى قصر (نبيل) و (يعقوب) يؤمنه من الخلف صحيح يفكر أن ينقضّ عليه ويقتله ولكنه لا زال يطمح في فرصة جديدة حتى يقتل (الشمندري) وهذا الرجل يبدو أنه مقاتل جيد استمر في تأمين المكان حتى وصلوا إلى الطابق الأول فوجد (ناصر) رجلًا ساقطاً أرضًا غارقًا في دمائه.

- إنه (نبيل) صاحب القصر.

قالها (يعقوب) له، ثم تابع

- اسمع سوف تكمل أنت المهمة، ولكن اتبع ما أقوله لك.

نظر له (ناصر) بموافقة ليكمل:

- سوف نحمله إلى المستشفى وتخبره أنك مَنْ أنقذت حياته وقتلت من قتله مقابل ملايين من الدولارات، هنيًا، احمله قبل أن يموت نحن نحتاج إليه.

(9)

على فراش الموت تمر كل أفعالك أمام عينيك، تنتظر هبوط الملائكة ليصدر حكمًا مصيريًّا لم تكترث له طوال حياتك، لتعلم حينها أن كل ما مضى لا يساوي شيئًا مقارنة بالقادم.

**

فتح (شكري) عينيه للمرة الأخيرة محدقًا إلى سقف الغرفة يلفظ أنفاسه بصعوبة يشعر وكأن أحدهم وضع خنجرًا في منتصف رقبته محاولًا الحديث ولكنه لم يستطع، تجلس زوجته بجواره وهي تبكي ممسكة يده بكلتا يديها فهمس لها بصوت منخفض:

- عائشة، أريد رؤية ابنتي.

ما إن انتهى من قوله حتى سقطت يده معلنة خروج روحه الآن، صرخت زوجته بصوتٍ عالٍ واضعة رأسها على صدره فلم يستمع إليها أحد، لا يوجد غيرهما في هذا المنزل الجديد الذي سكنا به بأوامر من رجال الشرطة، ولكن أين هم الآن؟! لا أحد بجوارها، لا تمتلك أرقام هواتفهم حتى تخبرهم مصيبتها، لا تعلم شيئًا عن ابنتها، رفعت رأسها ووجهها ممتلئ بالدموع وهي تنهض مهرولة في الشقة وظلت تطرق الباب بقوة مرددة:

- أخرجوني من هنا لقد مات زوجي، أخرجوني وأخبروا عائشة أن أباها مات.

لم يحدث جديدٌ، ظلت المرأة العجوز تبكي وتصرخ وتطرق الباب حتى سقطت مغشيًا عليها دون أن ينجدها أحدٌ.

**

فُتح باب الحجز ليمسك الأمين بيد (آدم) ذاهبًا به إلى مكتب (ياسر) وهو لم يمنعه أو يتحدث معه، يسير معه مكبل الأيدي ووجهه شاحب حتى دلف به إلى غرفة المكتب ثم خرج بعدها الأمين مغلقًا الباب خلفة.

- أترى أن ما تفعله هو الصواب؟

قالها (آدم) ساخرًا فاستدار (ياسر) ناظرًا إليه بغضب وهو يرد:

- أعد لي ابنتي وأنا أخرجك من هنا.

- النيابة أطلقت سراحي وما تفعله أنت غير قانوني.

ظل (ياسر) يضحك بصوت عالٍ ثم اقترب منه قائلًا بصوت منخفض:

- وما فعله أبوك في الماضي كان قانونيًا؟

حدق إليه (آدم) بينما تابع الآخر:

- تهريب الأسلحة قانوني؟ ما يفعله وليّ نعمتك الذي يدعى (الشمندري) قانوني؟ اختطاف فتاة بريئة قانوني؟

تبسم (آدم) بمنتصف شفتيه وجلس متسائلًا:

- ماذا تريد يا (ياسر)؟!

- (ياسر)؟! على كل حالٍ سوف أخبرك بما أريده وما سوف أفعله.

رفع (آدم) رأسه وهو ينظر إليه بلا مبالاة حتى أردف (ياسر):

- أريد ابنتي خلال أربع وعشرين ساعة، وأريد صورة واضحة للشمندري، وأريد القطع المسروقة من المتحف التي سرقها أبوك.

ظل (آدم) ينظر حوله ثم سأله:

- لا أفهم ما تقوله!!

أومأ (ياسر) ثم جلس أمامه على الكرسي، وأخذ نفسًا عميقًا من سيجارته ثم تحدث إليه:

- أنا أقدِّر أنك تخشى الاعتراف، ولكن....

قاطعه صوت طرقات الباب فأذنَ للطارق بالدخول حتى وجدَ أمامه رئيس المباحث وهو يقول بعجَلٍ:

- (ياسر)، النيابة بالخارج تفتش داخل الحجز عن المتهم الذي أخْلُوا سبيله.

نهض (ياسر) بفزع وهو ينادي على الأمين والذي أتى في الحال فأخذ منه مفاتيح الأساور الحديدية وقام بتحرير يد (آدم) ثم همس في أذنه:

- لا تنطق بكلمة حتى لا أضعك برأسي أكثر من ذلك.

ما إن انتهى حتى وجد وكيل النيابة يدلف إلى المكتب قائلًا:

- لدينا بلاغ أنك لا زلت متحفظًا على المتهم (آدم توفيق).

تبسم له (ياسر) وهو يرد:

- لا، هذا بلاغ كاذب، وها هو (آدم) يجلس معي ونتحدث في أمور ودية تمامًا ولكنه حُر.

ثم نظر إلى (آدم) وأكمل:

- أخبره بنفسك يا بني.

قبل أن يتحدث (آدم) وجد (نورين) تقتحم المكتب وهي تشير إليه متحدثة:

- هذا الشاب الذي أخبرتك عنه لا زالوا متحفظين عليه.

نظر (آدم) إليها متبسمًا ثم تحدث إلى (ياسر) قائلًا:

- لم أتحدث كما اتفقنا.

نظر وكيل النيابة إلى رئيس المباحث وهو يقول مستنكرًا:

- هذا التهريج لن أسمح به أبدًا، أخرِج المتهم الآن ويُعرَض عليَّ هذا الضابط في الصباح للتحقيق معه.

انسحب (آدم) من بينهم وهو يأخذ بيد (نورين) ذاهبين خارج البناية بخطوات سريعة حتى وصلا إلى الطريق وعبراه فأشار إلى إحدى سيارات الأجرة ثم ركبا وانطلقت بهم.

بدأ (آدم) يرمق (نورين) من خلال انعكاسها في المرآة حتى تحدث قائلًا:

- كيف فعلتِ ذلك من أجلي وأنت لا تعلمين شيئًا عني؟!

- لكنني أعلم أنك بري.

نظر إليها بحزن معلقًا:

- قلت لكِ لا تعلمين شيئًا، أنا....

قاطعته متحدثة:

- لا ترهق نفسك الآن، اذهب إلى منزلك حتى ترتاح وسوف نتحدث مجددًا.

أومأ برأسه وهو ينظر أمامه لتتابع هي نظراتها له من خلال المرآة دون أن يلاحظ، ولكنه لأول مرة يشعر بوجود شخص بجواره في هذه الدنيا، كلهم كاذبون يعملون من أجل مصالحهم أما هي فلا تريد منه شيئًا، تتصرف بفطرتها، تمنى حينها لو كان يملك قلبًا بداخله مثلها، ولكنه يطمع في قلبها الآن ربما يريد أن يصبح رجلاً آخر.

**

يجلس (يعقوب) وأمامه ثلاثة رجال من بينهم (ناصر) الذي أصبح قائدًا لهؤلاء في عملية القتل القادمة والتي تستهدف (الشمندري) ظنًا منهم أنه في المنزل الظاهر لهم ولم يعلموا أن بالمنزل باب سري يؤدي إلى الشقة التي يقطن فيها ذلك العجوز بدأ بحديثه الموجة إليهم قائلًا:

- الأمر ليس بسهلٍ وإن ظن أحدكم العكس، كل معلوماتي عنه أنه رجلٌ مُسنٌّ لا يستطيع الدفاع عن نفسه أمام قط صغير، ولكن يحرسه شاب ذكي يدعى (آدم) صحيح لديهم رجال آخرون، ولكن للمهمات فقط وليس من أجل حراسته مع هذا الشاب كلب قوي نوعه نادر مفترس جدًا وسريع الحركة يأخذ

أوامره من صاحبه؛ فقط لذلك سيكون هدفنا الأول ويجب أن يُقتل قبل تنفيذ عملية الهجوم.

تحدث (ناصر) سائلًا:

- وماذا عن صاحب الكلب؟!

نظر (يعقوب) أرضًا ليجيبه:

- سوف نتعامل معه دون أن نقتله لأنه أخي.

عقد (ناصر) حاجبيه وسأله مرة أخرى:

- وإذا أراد قتلنا كيف سنتعامل معه؟!

- سننتظر الوقت المناسب حتى نتأكد أن آدم بالخارج ونقتحم المنزل نقتل هذا الرجل اللعين.

- وإذا عاد أخوك؟

نظر (يعقوب) إليه بغضب ثم تمالك أعصابه متحدثًا بهدوء:

- لدي خطة لتعطيله، أرصده فقط عندما يكون بالخارج وسوف أرسل له رجال محترفون ليوقفوه حتى ننتهي.

**

دلف (آدم) منزله لأول مرة دون كلبه بعد أن تركه مع (نورين) ليلة أخرى حتى يهدأ ويسترد صحته، ولكن ما يجول برأسه حقًا هو أين (الشمندري) كل هذا الوقت؟ أين موقفه من القبض على ذراعه الأمن بل ذراعيه الاثنتين؟! خلع (آدم) البرواز ضاغطًا على الحائط حتى يُفتَح له الباب المؤدي إلى

المنزل السري، وبمجرد ما وضع قدمه إلى الداخل وجد العجوز مبتسمًا قائلًا:

- حمدًا لله على سلامتك يا بني.

أغلق (آدم) الباب خلفه دون أن يتحدث، ثم رمقه غاضبًا فتابع (الشمندري):

- أعلم أنك تريد أن تسألني لمَ بقيت داخل المنزل، ولكن ضَعْ نَفْسَك مكاني، لو تعجلت وأرسلت مَن يخرجونك لوجدت الشرطة دليلًا ضدك، ولكن انتظاري كان هو الحل الأمثل لأنني كنت أعلم أنهم سيطلقون سراحك.

ظلَّ (آدم) يفكر في كلامه قليلًا حتى اقترب منه وعانقه بقوة وهو يقول:

- لا يهم طالما أنت بخير.

ربت العجوز على كتفيه فتراجع (آدم) متسائلًا:

- أين ابنة الضابط؟

- لا تقلق عليها هي بخير؛ تأكل وتنام منعمة في غرفتها، ولكني فقط أكبل قدميها حتى لا تهرب.

أومأ (آدم) وتحرك بخطوات ثقيلة ذاهبًا إلى غرفته وقد بدا عليه الإرهاق الشديد بسبب ما حدث له، دلف إلى الغرفة مغلقًا بابها خلفه ملقيًا بجسده على الفراش متأملًا السقف ظاهريًا ولكنه يرى فيه وجه (نورين) الفتاة الجميلة التي تشبه الملائكة، لديها ابتسامة هادئة تجعل قلبه ينبض كأنه سيخترق ضلوعه بعدها، لها صوتٌ مُمَّيز وعقل مختلف كأنها

لا تنتمي لهذا العالم، ربما أحبَّها بل من المؤكد أن ما يحدث بداخله أعراض الحب التي لم تمر من خلاله من قبل، أغمض عينيه متبسمًا ليُطرق الباب فأذن بالدخول معتدلًا حتى ولج العجوز وجلس بجواره متحدثًا:

- أين بيل؟!

- تركته مع (نورين).

حدق فيه (الشمندري) وهو يسأله:

- مَن هذه؟!

شعر (آدم) أنه ارتكب خطأ كبيرًا عندما اعترف له بالحقيقة فأجابه ضاحكًا:

- فتاة وجدتها جالسة في الحديقة لحظة القبض عليَّ فأمرته أن يبقى معها وأخذت منها عنوانها وسوف أذهب إليها غدًا ليعود معي.

- لم يبقَ لك الكثير، يجب أن تغادر البلد في الصباح.

نهض (آدم) غاضبًا وهو يقول:

- لمَ السفر طالما الشرطة وجدتني بريئًا؟!

زفر العجوز معلقًا:

- دائمًا متسرع مثل أبيك يا بني أنا أريدك أن تتمتع بأموالك وهنا سيكشف أمرك وأمري.

أغمض (آدم) عينيه ولم يتحدث حتى أردف (الشمندري):

- ما الذي حدث لك؟ ألا تريد السفر؟

- لم أقل ذلك، ولكن أمهلني بعض الوقت فقط.

- لماذا؟!

كاد (آدم) أن يجيبه ولكنه تراجع متحدثًا:

- لا شيء سوف أفعل ما تراه.

**

أمسك بصورتها وجلس على كرسيه المفضل في شرفة منزله يتأملها، ربما يشعر بالخوف عليها، أو يشعر بالخطر الذي سوف يأتي ويهاجم حبه، يخشى أن تصبح مِلكَ رجل غيره، معاناة يعيشها بحقٍّ ولو بيدِه لأخذها إلى مكانٍ بعيد ليس به غيرهما، هكذا يفكر كل عاشق كلما شعر بفقدان من يحب تقتله أفكاره كلما تذكر أنها ليست له قبلها بحزن ليضعها أمامه على المنضدة ثم همس قائلًا:

- أنتِ لا تعلمين شيئًا عن حبي لكِ، ربما أخطأت عندما احتفظت به بداخلي ولم أخبرك، ولكن لا وقت سوف أخبرك بما يحدث لي عندما نلتقي.

**

يجلس (آدم) أمام (نورين) شارد النظر لا يتتبع شيئًا بعينيه هو فقط مولٌّ وجهه إلى بعيد حيث الفراغ أما هي لا تقاطع أفكاره ترمقه بتأمُّل كأنها تحاول أن تقرأ ما يدور في رأسه، ربما اطلعت على نصف الحقيقة ولكن النصف الآخر لا زال مفقودًا لديها، تريد أن تعلم كل شيء عنه وعن حياته تغلق عينيها كل دقيقة حتى تجد ما يقال كي يفتح لها قلبه وهي لا تعلم أنه لا يعلم شيئًا عن القلب إلا أنه مجرد عضو وظيفته ضخ الدماء، مشاعره كالطفل الصغير لم تهتز لأي فتاة من

قبل، اقتحم صمتهم نباح كلبه الذي ظلَّ يعلو دون سبب واضح، التفت إليه متسائلًا بصوت منخفض:

- أجننت يا بيل؟! لمَ هذا الضجيج؟

ثم نظر بعيدًا مرة أخرى متحدثًا بنفس درجة صوته:

- (نورين) ماذا أعني لكِ؟

حدقت إليه واضعة يدها على فمها في محاولة فاشلة لمنع ضحكاتها العالية ما جعله يصبح فيها قائلًا:

- ما الذي يضحكك، أنا أسألك بجدية!!

بدأت تتوقف عن الضحك تدريجيًا مشيرة بيديها كنوع من أنواع الاعتذار ثم سألته متبسمة:

- ماذا تقول يا (آدم) أنا لا أعرف عنك أي شيء.

نظر إليها بنظرات يملأها الحزن ثم اعتدل نحوها متحدثًا:

- أنا مجرد ضحية داخل رواية بوليسية يتحكم بها الكاتب كما يشاء.

عقدت حاجبيها وهي تسأله:

- لا أفهم ما تقوله.

ثم اقتربت برأسها هامسة إليه وهي تنظر إلى عينيه:

- (آدم) أرجوك تحدث بوضوح واترك تلك الألغاز خارج حوارنا.

اقترب منها بكرسيه ناظرًا إلى مياه النيل التي تحاصر المطعم من كل الجهات وبدأ يسرد لها حكايته، ولكن قبل أن يبدأ

طلب منها وعدًا ألا تخبر أحدًا بما ستستمع إليه، وهي وافقت.

- جئت الحياة في منزل بسيط بمنطقة ريفية تقع على أطراف مدينة الإسكندرية، كان أبي يعمل كفرد أمن بأحد المتاحف، وأمي امرأة طيبة، مرضت وفارقت الحياة، أما أبي كان رجل شديد الطبع قاسيًا إلى حد لا يتخيله بشر، يتعامل معنا بقوانين صارمة ولا أحد منا لديه حق الاعتراض أو مخالفته في أي شيء، عندما وصلت إلى سنة الخامسة عشرة من عمري حدثت الكارثة، أنت الشرطة حتى تخبرنا أنه اختفى منذ يومين ومطلوب للتحقيق في جريمة سرقة حدثت بالمتحف الذي يعمل فيه.

قاطعه نباح الكلب مرة أخرى فنهض متفحصًا المكان حوله حتى نهضت (نورين) أيضًا متسائلة:

- ما الذي يحدث؟

أجابها (آدم) وهو يترقب بحرص:

- الكلب يخبرني أننا في خطرٍ، اذهبي أنتِ الآن وأنا سوف أهاتفك.

التقطت حقيبتها ومضت بعيدًا بخطوات سريعة بينما أخرج هو سلاحه مشيرًا إلى كلبه بالذهاب من الباب الآخر، بمجرد ما خرج وجد سيارة تقف جانب سيارته وأمامها رجلان في أيديهما أسلحة نارية اقترب منهما حتى أصبح بجوارهما وتحدَّث إلى أحدهما بهدوء:

- ارجعا إلى من أرسلكما دون التعامل معي حتى لا أقتلكما، صدقوني أصبحت لا أريد الدماء لذلك لا تجبراني.

نظر الرجل إليه وهو يشد أجزاء سلاحه قائلًا:

- نحن لا نريد منك شيئًا.

قالها وهو يصوب نحو الكلب ليدفع (آدم) يده بعيدًا ثم ضربه برأسه في منتصف وجهه ومن بعدها سقط أرضًا، انقض زميله عليه من الخلف محاولًا خنقه لأنه أخذ أوامره بعدم قتله، ولكنه وجد الكلب يهجم عليه من الخلف غارسًا أنيابه في رقبته، شاهدهم حارس الجراج فركض حاملًا هاتفه المحمول حتى يبلغ عن تلك المعركة فرمقه (آدم) ثم اندفع نحو كلبه بسرعة ودفعه بعيدًا عن الرجل قبل أن يقتله ثم أمره بالذهاب إلى السيارة وركبها وانطلق.

**

اقتحام المنزل السري

توقف (ناصر) أمام القصر مخرجًا سلاحه فانتبه الحارسان معلنين أسلحتهما ليقعا في الفخ الذي نصبه (يعقوب) لهما، وبدأ رجاله بإطلاق النار من أعلى البناية مما جعلهما يقعان جثثًا على الأرض ويصبح المنزل كله محاطًا برجال (ناصر) و (يعقوب) كانوا كثيري العدد لديهم أسلحة فتاكة مما جعل الأمر صعبًا على (الشمندري) الذي يشاهدهم عبر الكاميرات من داخل منزله السري، ظن أنهم رجال (ياسر) وجاءوا من أجل تخليص ابنته على طريقة حرب العصابات فنهض

غاضبًا ولأول مرة يخرج سلاحه الرشاش رغم عدم قدرته على حملة أثناء تبادل النيران من الأساس، ولكنه في حالة من الهلع لأول مرة يشعر أنها النهاية، ولكنه لا زال محتفظًا بكرتين مهمتين الأول؛ الفتاة، اقترب منها وهي تنظر له بخوف حتى أمسك بشعرها الذي بدأ يتمزق بين أصابعه وهي تصرخ ممسكًا بهاتفه طالبًا أباها ليتحدث بصوت عال:

- ابنتك معي وسوف أقتلها حالًا إن لم تأمر رجالك بالانسحاب.

صاح فيه (ياسر) وهو يرد:

- ما الذي تقوله! أنا في النيابة أخضع للتحقيق الآن.

- لا تلجأ لتلك الحيل يا (ياسر) رجالك بالخارج يقتحمون المنزل خمس دقائق إذا استمروا في عملهم سوف أقتل ابنتك وأنا أستطيع الهرب.

أنهى المكالمة ثم اتصل ب (آدم) ليرد بمجرد ما وافق على مكالمته:

- أنا بخير وفي طريقي إلى المنزل.

- لا يا (آدم) لا تأتِ المنزل محاصر بالرجال.

توقف (آدم) بسيارته فجأة محدقًا أمامه وهو يسأله:

- ماذا؟!

- عشرات الرجال اقتحموه منذ قليل، مسلحين بالكامل.

- أين هم الآن؟!

- في المنزل الخارجي وفي الحديقة وقتلوا الحارسين، لا تأتِ بمفردك.

- لا تخف لن يصلوا إليك قبل أن أصل.

أنهى المكالمة وهو يضغط بقوة على دواسة الوقود في طريقه إلى المنزل مرددًا:

- بعضهم في المنزل الخارجي، وبعضهم في الحديقة.

ظلَّ يتصفح هاتفه حتى طلب أحدهم على الهاتف منتظرًا استجابته حتى وضع هاتفه على أذنه قائلًا:

- سليمان، أين أنت؟!

- أنا في نادي الرماية خير يا صديقي ماذا بك؟!

لا وقت للشرح أنا متجه إلى منزلي هل تستطيع أن تأتي بفريقك خلال عشر دقائق.

- فريقي!! هل الأمر يستدعي؟

- نعم يوجد هجوم من قِبَل عشرات الرجال وزوجتي بالداخل بمفردها.

- لا تقلق سوف نقرأ الفاتحة عليهم جميعًا.

أنهى (آدم) المكالمة طالبًا (الشمندري) مرة أخرى ولكنه لم يجد استجابة، ازدادت ضربات قلبه وهو يعاود الاتصال ولم يحدث جديد حتى توقف بسيارته قرب القصر ونظر إلى كلبه متحدثًا:

- تلك اللعبة ليس لك بها شأن اذهب واختبئ داخل البناية المجاورة للمنزل.

ظل الكلب ينظر له كأنه لم يستجب لأوامره ففتح (آدم) باب سيارته دافعًا إياه إلى الخارج متابعًا بصوتٍ عالٍ:

- هيَّا لا وقت.

ذهب كلبه، ثم عاود يطلب (الشمندري) مرة أخرى ليستمع إلى صوت فتاة تبكي قائلًا:

- لقد سقط أرضًا وأنا قدماي مكبلتان ماذا أفعل؟

- اسمعي، لا تتحركي من مكانك سوف يقتلونكِ إذا خرجتِ سوف آتي أنا وأخرجك هذا وعد.

ترك هاتفه مخرجًا سلاحه لينطلق بسيارته حتى أصبح خلف المنزل فتوقف ليخرج منها مترجلًا جوار سور المنزل حتى لا يراه أحدٌ، نجح في الدخول من الباب الخلفي ومنه إلى المنزل السِّري أيقظ (الشمندري) متحدثًا إليه بسرعة:

- لا وقت اذهب إلى الغرفة المتحركة حتى أقضي عليهم.

نهض العجوز مستعينًا بيد (آدم) وتحركا بخطوات بطيئة إلى تلك الغرفة حتى دلف إليها وأغلق الباب خلفه وضغط على الزر لتبدأ بالسير على القطبان.

بالداخل يفتش (يعقوب) عن أي شيء بالمنزل يساعده على الوصول إلى (الشمندري) حتى توقف في الممر ناظرًا بغضب إلى البرواز الذي يحتوي على صورة الكلب؛ فهو لديه معه ثأر فانتزعه من مكانه وألقى به أرضًا وظل يركله بقدمه حتى نظر إلى الحائط محدقًا، يوجد أثر لكف متسخ دقق النظر أكثر حتى ذهب نحو زر الإضاءة وأغلقه عائدًا إلى مكان البرواز حتى رأى خطًا من الضوء يظهر له علت شفتيه ابتسامةٌ

ووضع كفه مكان الأثر، ولكنه استمع إلى صياح (ناصر) بالخارج وهو يقول:

- اقتلوه

تراجع (يعقوب) مرددًا:

- أخي!!

ركض إلى (ناصر) متسائلًا:

- ماذا حدث؟!

تحدث الآخر غاضبًا وهو يختبئ خلف الباب:

- أخوك أعلى البناية وقتل أربعة أشخاص من رجالي.

دفعه (يعقوب) وهو يرد بصوت عالٍ:

- هم رجالي أنا.

انتهى وهو يصيح:

- لا تقتلوه هذه أوامري.

رمقه (ناصر) بغضب ثم تحدَّث إليه:

- ما الذي تقوله؟ سوف يقتلنا إذا لم نقتله.

- انتظرني هنا.

خرج (يعقوب) إلى الحديقة مُخرِجًا سلاحه وهو يرى رجاله يموتون واحدًا تلو الآخر والبقية يصعدون إلى أعلى حتى يقتلوه صاح هو:

- اسمعني يا (آدم) هم لا يريدون قتلك، اهرب أنت.

تبسم (آدم) ناظرًا إليه من أعلى وردَّ:

- أخي مرحبًا بك في منزلي.

حدق (يعقوب) إليه مصوبًا نحوه وهو يشد أجزاء سلاحه از درد (آدم) ريقه موجهًا سلاحه، نحوه، وقبل أن يطلق النيران وجده يصوب خلفه على الرجل الذي صعد كي يقتله.

استدار (آدم) وقتل الآخر حتى خرج (ناصر) موليًا سلاحه نحو (يعقوب)، وقبل أن يطلق وجد رصاصة في منتصف جبينه أسقطته أرضًا غارقًا في دمائه، أمر (يعقوب) بقية رجاله بالانسحاب ولكنهم خالفوا تلك الأوامر وواصلوا إطلاق النار عليه وعلى أخيه ولكنهم وجدوا فجأة سيارة أخرى تقتحم الحديقة وخرج منها أربعة رجال ملثمون يرتدون ملابس سوداء وبدأوا بإطلاق النيران بشكل عشوائي في الهواء لينظر (سليمان) إلى (آدم) قائلًا بثقة:

- ابقَ مكانك يا صديقي سوف نتولى نحن الأمر.

ثم نظر إلى فريقه متحدثًا:

- اقتلوهم جميعًا.

ما إن أنهى عبارته حتى ركض الأربعة في خط مستقيم وكل واحد منهم يمسك بمسدس في كل يد، خرج (يعقوب) من خلف الشجرة حتى يتحدث إلى أخيه فرمقه (سليمان) مصوبًا نحوه فصاح (آدم):

- لا تقتله، هذا معنا.

لم يسبق تنبيهه رصاصة (سليمان) السريعة التي اخترقت صدر (يعقوب) ليخر (آدم) على ركبتيه صارخًا:

- لماذا يا سليمان!!

توقف الفريق كله بعد أن قتلوهم جميعًا فذهب (سليمان) إلى سيارته ناظرًا إلى (آدم) بحزن وهو يقول:

- سامحني يا صديقي لقد أخبرتني متأخرًا.

انتهى وهو يشير إلى رجاله كي يركبوا السيارة وتراجع بها إلى أن وصل إلى الخارج وانطلق.

نهض (آدم) متخذًا الدرج إلى أسفل بخطوات غير متزنة إلى أن وصل إلى أخيه والذي كان يسعل وهو ينزف، جلس بجواره متحدثًا ببكاء شديد:

- سامحني يا (يعقوب)، أنت أنقذت حياتي وأنا لم أفعل مثلك.

ابتسم أخوه وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ليقول:

- لا تحزن يا صغيري إذا أردت أن أسامحك حقًا اترك (الشمندري) وتزوج وعش حياة كريمة؛ لأن هذا العجوز مجرد مريض نفسي.

أومأ (آدم) وهو يبكي ليضع (يعقوب) يده على رأسه ولكنها سقطت حدق إليه أخوه قائلًا:

- يعقوب!! لا تمُت أرجوك سوف أنفذ أوامرك كلها ولكن لا تتركني.

ظل يهز جسده بقوة وهو يصرخ فيه ولما لم يجد أي استجابة منه وضع رأسه على صدره دون أن يصدر منه أيّ ردة فعل.

(10)

عندما تجد أن الزمن يعيد أحداثه أمامك فاعلم أنك تسير في الاتجاه الخاطئ.

**

وصلت النيابة إلى قصر (آدم) بعد المذبحة بأربع ساعات عندما أبلغهم أنه تعرض لهجوم من قِبَل رجال مسلحين وحدث اشتباك بينهم وبين حراس قصره أدى إلى وفاة العديد منهم والبقية تمكنت من الهرب بعد كان غرضهم الأول هو السرقة ظنًا منهم أن هذا القصر غير مؤمَّن بالحرس خصوصًا أنه في منطقة خالية من السكان.

ظل (ياسر) يهز رأسه إلى أعلى وأسفل ساخرًا من كذبه ثم أمسكه من عنقه قائلًا بغضب:

- أنت كاذب يا فتى، أين ابنتي؟!

انتهى وهو يدفعه للوراء، نظر (آدم) إلى أسفل ثم حوَّل بصره إلى وكيل النيابة متحدثًا:

- أنا قلت كل شيء، ولن أسمح بأي تجاوزات، هل تريد مني شيئًا آخر؟

رمق رجل النيابة (ياسر) بغضب ثم نظر إلى (آدم) مجيبًا:

- لا استرح اليوم وسوف أنتظرك في مكتبي غدًا من أجل اكتمال التحقيق.

أومأ (آدم) وهو يتراجع متجهًا إلى منزله مستديرًا متذكرًا ما حدثَ فانهمرت دموعه مرة أخرى دالفًا إلى الداخل مغلقًا

الباب خلفه، بدأت رجال الإسعاف برفع الجثث من مكانها إلى السيارات المخصصة وسيارات الإطفاء تضخ المياه لتخفي أثر الدماء، أما (ياسر) لم يرحل مع رجاله ظل يتجول حول سور حديقة المنزل حتى وجد أحد محلات التبغ ودلف إليه كي يشتري علبة سجائر فأخرج نقودًا من جيبه وقدمها للبائع بعد أن التقط علبته المفضلة وانصرف مترجلًا نحو سيارته ولكنه توقف مرة أخرى موليًا نظره إلى هذا المحل كان على شكل حاوية البضائع التي تحملها السفن له مظهر خاص جذاب، ولكن البائع الذي يجلس فيه هادئ إلى حدٍّ الغموض، عيناه بداخلهما الكثير من القصص، ربما لأنه يجاور منزل (آدم) من الخلف، ظلَّ يتأمل المكان مُشعِلًا سيجارته ثم توجه إلى سيارته راكبًا إياها مغادرًا المكان بأكمله.

**

الطريق الذي تمشيه وأنت تعلم نهايته مملٌّ وثقيل؛ لذلك يجب أن تسلك طريقًا مجهولًا تكتشف فيه أشياءَ جديدة، وله نهاية غير متوقعة. عبارة يرددها (عمران) دائمًا لنفسه.

نهض جالسًا على فراشه ينظر حوله بغضب ويسأل؛ هل تعاونه مع (ياسر) صحيح أم أنه بذلك سوف يخسر كل شيء مقارنًا مستقبله بمستقبل إخوته، هل يتراجع في قراره ويعمل لصالح آدم مرة أخرى ويحصل على ثروة مثل ما وعدوه، ظلَّ يفكر ممسكًا برأسه حتى نهض تاركًا فراشه وهو يلتقط صورة ابنة (ياس) متوجهًا بها إلى الشرفة.

أمسك بصورتها وجلس على كرسيه المفضل في شرفة منزله بتأملها، ربما يشعر بالخوف عليها، أو يشعر بالخطر الذي

سوف يأتي ويهاجم حبه لها لتصبح لرجل غيره، معاناة يعيشها بحق ولو بيده لأخذها إلى مكانٍ بعيد ليس به غيرهما، هكذا يفكر كل عاشق كلما شعر بفقدان من يحب تقتله أفكاره كلما تذكّر أنها ليست له، قبلها بحزن ليضعها أمامه على المنضدة ثم همس قائلًا:

- *أنتِ لا تعلمين شيئًا عن حبي لكِ ربما أخطأت عندما احتفظت به بداخلي ولم أخبرك ولكن لا وقت سوف أخبرك بما يحدث لي عندما نلتقي.*

قاطعه رنين هاتفه فوافق على المكالمة قائلًا:

- قلت لك مسبقًا لا تتحدث إليَّ مهما حدث، لن أعمل معكم مرة أخرى وسوف أقدم استقالتي قبل أن تهددني برئيسك.

تنهد (آدم) ثم ردَّ عليه بضيق:

- لقد مات أخونا.

نهض (عمران) وهو يصيح:

- ماذا؟! ما الذي تقوله؟

كما سمعت اسمع يا عمران لا تعاون ياسر في القادم وأنا سوف أصحح كل الأخطاء.

**

انتهى (آدم) وأنهى المكالمة ثم توجه نحو غرفة الفتاة المختطفة وطرق الباب دالفًا إليها، استيقظت ناظرة إليه برعب فحاول تهدئتها مبتسما بود قائلًا:

- لا تخافي، جنت لأحررك ولتذهبي إلى والدك، ولكن لدي طلب.

حدقت فيه الفتاة فاقترب منها مخرجًا من خصره خنجرًا صغيرًا فتراجعت حتى وجدته يقطع الحبل الذي يكبِّل قدميها وهو يتابع:

- أخبريه أنني سوف أترك كل شيء وأصبح رجلًا شريفًا حتى يتركني وشأني.

أومأت الفتاة ليمد يده إليها متبسمًا فتشبثت بها ونهضت تقدَّم أمامها متحدثًا:

- أتبعيني.

لأول مرة تتحدث منذ أن أتت إلى هنا وهي تجيبه:

- أشكرك، أنت شخص نبيل.

استدار إليها بفزع ثم عقد حاجبيه متسائلًا:

- ماذا قلتِ؟!

ارتبكت وردت سريعًا:

- لم أقل شيئًا، أنا أشكرك فقط على ما فعلته لأجلي.

أومأ إليها وهو يرمقها بعينيه ثم أشار كي تذهب خلفه، وبمجرد أن توقفا أمام الباب وضع على عينيها شريطًا من القماش الأسود وأمسكها من يديها حتى خرج بها إلى المنزل الخارجي ومنه إلى سيارته، أجلسها في الكرسي المجاور له وركب منطلقًا قاطعًا عدة شوارع حتى ابتعد عن المنزل متوقفًا أمام إحدى محطات مترو الأنفاق ونزع الشريط عنها متحدثًا دون أن ينظر إليها:

- لقد أوفيت بوعدي، أتمنى أن توفي بوعدك لي أنتِ أيضًا.

خرجت الفتاة من السيارة وركضت بعيدًا بينما ظل يتتبعها بعينيه إلى أن اختفت تمامًا من مرمى نظره، استرخى برأسه للوراء مرددًا:

- لم يتبق لي إلا أن أعترف لنورين بكل شيء.

اعتدل وهو يتراجع بسيارته إلى الوراء متخذًا نفس الطريق عائدًا إلى منزله حتى وجد الكلب ينتظره حيثما أمره، فتوقف فاتحًا له الباب وأخذه منطلقًا.

**

استيقظ (الشمندري) من غيبوبته معتدلًا باحثًا عن عصاه، ولكنه لم يستطع الوقوف على قدميه، حاول مرة أخرى وفشل ليتحسس الهاتف بجواره طالبًا (آدم) وقبل أن يرد وجده يدلف إلى الغرفة ملقيًا بجسده على الفراش قائلًا:

- كيف حالك اليوم؟

نظر إليه العجوز بنصف وجه ثم أجابه:

- منذ متى وأنا نائم؟

- عندما سقطت في الغرفة المتحركة

- غيبوبة؟!

أومأ (آدم) مشعلًا سيجارته مكملًا:

- أعطيتك الحقنة في ميعادها، ولكنك لم تستيقظ.

- لقد شُلت قدماي.

نظر له (آدم) وقبل أن يتعاطف معه تبسم بمنتصف شفتيه متحدثًا:

- هي بداية لا أكثر.

حدق فيه (الشمندري) بينما رمقه (آدم) بلا مبالاة آخذًا نفسًا عميقًا وهو يرد:

- صحيح لقد قتلوا أخي (يعقوب).

- مَن هم؟!

- لا يهم، أنا أحكي لك ما حدث في اليومين السابقين.

نظر العجوز إلى أسفل وقد امتلك الغضب وجهه الذي انتفخ محمرًا، سأله (آدم):

- تتذكر عندما التقيت بي لتخبرني أن (ياسر عز الدين) وابنته يدبران عودة للقبض علينا وكان معك تسجيل لهما.

حرك الآخر رأسه مؤكدًا كلامه فتابع (آدم):

- مَن سجَّل لهم تلك المحادثة فأنا وضعت جهاز التنصت بعدها؟

أراح (الشمندري) ظهره للوراء أخذًا نفسًا عميقًا متحدثًا:

- أرسلها رقم مجهول على هاتف ضياء.

ضحك (آدم) ضحكة عالية ثم نظر إليه ساخرًا وهو يقول:

- وعندها ظننت أنني مقصر في عملي وصفعتني على وجهي وكأن ضياء كان يعمل أكثر مني.

انتهى وهو ينهض متوقفًا أمام العجوز ثم مال برأسه قرب أذنه هامسًا:

- أتعلم أن تلك المكالمة كانت مجرد مصيدة؟!

عقد (الشمندري) حاجبيه فتابع (آدم):

- نعم.. لقد أرسلوا المكالمة لكل العصابات الموجودة في الدولة ومَن يذهب إليهم أو يهتم بما قيل هو من لديه القطع التي سُرقت، وأنا اندفعت وذهبت إليهم لأضع الجهاز فالتفوا حولنا وتيقنوا أنني أملكها، (ياسر) لا يهمه إلا القطع التي سُرقت وتسببت في كل ما حدث له.

- اقتل ابنته وأرسلها له جثة.

قالها (الشمندري) بحزن بينما ضحك (آدم) قائلا:

- أنت جننت أصبحت تصدر تخاريف بدلًا من الأوامر.

ثم نظر إليه بغضب وهَو يصيح:

- لقد حررتها وسوف أذهب إلى (ياسر) اليوم وأقدم له القطع مقابل أن يتركنا، بعدها لا تبحث عني أبدًا.

انتهى مشيرًا إلى كلبه بالذهاب خلفه.

بدأ الرسام يخطط لوحته لتسترخي هي متحدثة بإرهاق شديد:

- أصلع الرأس له شارب عريض قد اشتعل شيبًا ولحية قصيرة عيناه تحاوطهما هالات سوداء منتفخ جفناها وأنفه عمودية تنتهي بدائرة تشبه الكرة وشفاه غليظة.

نهض (عمران) وهو يسألها:

- وبشرته؟!

- بيضاء ممتلئة بالتجاعيد قد يصل عمره إلى الستين.

توجه (ياسر) إلى لوحة الرسام والذي قد أوشك على الانتهاء محدقًا إلى اللوحة قائلًا:

- الرجل الذي شاهدته في محل السجائر!!

استدار إليه (عمران) متسائلًا:

- هل أنت متأكد؟!

أومأ (ياسر) مؤكدًا، فكر (عمران) قليلًا ثم سألها:

- هل لاحظتِ شيئًا في الأيام الماضية، استمعتِ إلى صوت مميز مثلًا؟!

صمتت الفتاة قليلًا أجابته وهي تشيح بيدها:

- منذ ثلاثة أيام استمعت لصوت إطلاق النار كان دويها يشبه الحرب.

- ثلاثة أيام!!

قالها (ياسر) ليكمل:

- يوم المذبحة التي حدثت بقصر (آدم).

اقترب منه (عمران) وهو يسأله:

- تقصد أنها كانت مختطفة داخل هذا القصر؟

- بالتأكيد، يوجد بالمنزل غرفة سرية لا يصل إليها أحد بسهولة.

قاطعته الفتاة:

- لا ليست غرفة، أنا كنت في منزل واسع به عدة غرف.

وضع (ياسر) يده على وجهه ثم تحدَّث:

- سوف أتأكد بنفسي من ذلك، وأنت يا عمران استعد كي تشغل الجهاز وأحضر السماعات حتى نتواصل بشكل مباشر دون هواتف.

قالها وانصرف ليجلس (عمران) متأملًا الفتاة.

**

يسير (آدم) بسيارته مستمعًا إلى التسجيل القديم الذي رصدَ حديثَ (ياسر) وابنته وهو يمضغ علكته بغضب بعد أن علمَ أن كل ما حدث ما هو إلا فخ من أجل الإيقاع به، كلما انتهى التسجيل قام بتشغيله مرة أخرى حتى أتاه اتصال من (نورين) وافق على المكالمة قائلًا:

- أين أنتِ الآن؟

أجابته بأنها في طريقها إلى منزلها كما طلب حتى لا يراهم أحد فطلب منها تحديد الموقع عبر التطبيق، وأنهى المكالمة ذاهبًا إليها، مرت لحظات حتى أرسلت له ما طلبه ومرفق معه رسالة صوتية منها، ازدادت سرعة سيارته حتى توقف أمام أحد المقاهي وخرج من سيارته متجهًا إلى الداخل مترقبًا حوله حتى لا يراه أحد ثم توجه نحو إحدى الطاولات جالسًا بجوار رجل يضع صفحات الجرنال أمام وجهه حتى لا يراه أحد.

- هل أحضرت الجوازات؟

قالها (آدم) ليمد الرجل يده في حقيبته ويخرج ظرف منها فأخذه (آدم) منه متابعًا:

- انتظر مكالمتي من أجل تجهيز الجواز الأخير.

انتهى وهو يضع أمامه ورقة، أومأ الرجل دون أن يتحدث بينما نهض (آدم) عائدًا إلى سيارته وركبها وانطلق متجهًا إلى منزل (نورين) كما تشير له الخريطة، بدأ يسلك بسيارته عدة شوارع شعبية إلى أن وصل أمام المنزل تاركًا السيارة التي سدت الطريق الضيق فأخرج هاتفه مبلّغًا إياها أنه وصل حتى وجدها تناديه من شرفة الطابق الأول فتبسم لها ودلف إلى البناية صاعدًا الدرج حتى توقف أمام الباب وطرقه بلطف، فتحت له الباب امرأة عجوز لتسأله بود:

- آدم؟!

أومأ لها بدهشة لتفسح له الطريق فبدأ يتقدم بخطوات بطيئة ناظرًا إلى أسفل، استقبلته (نورين وصافحته متسائلة:

- لماذا تأخرت؟!

نظر (آدم) إلى السيدة التي فتحت له الباب لتكمل الفتاة:

- هذه أمي، آسفة لم أعرفك عليها.

تبسم لها (آدم) وهو يصافحها ولكنه شعر بشيء غريب، كان هذه العجوز تحمل له كراهية أو تخشى على ابنتها منه، كانت نظراتها مريبة إلى حد الغموض، سحبت يدها وهي تنظر إلى (نورين) قائلة:

- سوف أجهز لكما مشروبًا.

@ART_OF_BOOK

انتهت وهي تدلف إلى إحدى الغرف و (آدم) يرمقها بعين واسعة، تحدثت (نورين):

- تعالَ نجلس بالغرفة حتى تأخذ راحتك في الحديث.

التفت إليها وهو يهز رأسه بالموافقة متتبعًا إياها إلى الغرفة التي أشارت إليها فأفسحت له الطريق حتى يتقدمها وأغلقت الباب.

- اجلس يا (آدم) لا داعي للحرج.

قالتها وهي تجلس علي الكرسي ليجلس بجوارها متأملًا ملامحها وبدون أي مقدمات سألها:

- تقبلينني زوجًا لكِ؟!

حدقت إليه وفكها السفلي يتساقط ليكمل هو:

- لا أريد إجابة منكِ الآن قبل أن تعرفي حكايتي كاملة، هل تسمحين لي؟!

أومأت له بنفس الدهشة على وجهها فتراجع بظهره إلى الوراء متحدثًا بصوت منخفض:

- كنت طفلًا عندما حكم عليَّ أبي أن أصبح مجرمًا، كنت في الخامسة عشرة عندما تعاون مع زملائه وسرق ثلاث قطع أثرية من المتحف الذي كان يعمل فيه الكابوس بدأ عندما تلقى مكالمة من صديقه (ربيع).

**

قبل سرقة المتحف بيوم

@ART_OF_BOOK

وصل (شكري) إلى منزل (نجيب) ومعه رجل يرتدي ملابس غير متناسقة تدل على حالته المادية السيئة استقبلهما صاحب المنزل ليصافح (شكري) ونظر إلى الرجل الذي يقف بجوارد من أعلى إلى أسفل متحدثًا:

- هذا الذي حدثتني عنه؟

- نعم اسمه ربيع وسوف يخدمك ويلبي طلباتك كلها.

أومأ (نجيب) وهو ينظر للرجل باستحقار قائلًا:

- حسنًا اذهب انتظرني في الغرفة المجاورة حتى أنتهي.

متنهدًا وهو يقول: انحنى (ربيع) برأسه متوجهًا حيث أشار ليجلس (نجيب) متنهدًا وهو يقول:

- لم تقل لي إنه رجل كبير، كنت أظنه شابًا خفيف الحركة، على كل حال سوف نرى عمله ليومين.

جلس (شكري) قائلًا بصوت منخفض:

- المهم، أخبرني ماذا سنفعل غدًا؟

- قمت بتعطيل الكاميرات كما أخبرتك؟

أومأ (شكري) ليتابع الآخر:

- سوف أعطيك حقيبة، اذهب غدًا إلى المتحف في موعد عملك واتركها في مكتبك فقط، وهنا تنتهي مهمتك.

عقد (شكري) حاجبيه متسائلًا:

- حقيبة؟! وما بداخلها؟

- يمكنك فتحها في منزلك لترى ما بداخلها ولكن يجب أن تتركها في مكتبك غدًا، لأن سعد سوف يقوم بسرقة القطع غدًا بعد منتصف الليل، وكما وعدتك لن يلاحظ أحد أن المتحف تعرض لأي سرقة.

انتهى وهو ينهض متوجهًا إلى غرفة مكتبه ليخرج بعدها بحقيبة سوداء ووضعها على الطاولة بينهم وقام بفتحها متابعًا:

- ثلاث قطع طِبق الأصل من القطع التي سوف نأخذها.

- استمع (ربيع) لما دار بينهما وظل مختبئًا خلف الباب حتى غادر (شكري) فأتى إليه (نجيب) قائلًا:

- ارتَح أنت الليلة وفي الصباح سوف أوافيك بكل المعلومات عن عملك.

انتهى وصعد إلى أعلى فأمسك (ربيع) هاتفه وطلب (توفيق) حتى وافق على المكالمة ليتحدث إليه بصوت منخفض:

- (توفيق) اكتشفتُ كارثة.

- ماذا حدث، أخبرني؟

- إنهم يدبرون السرقة المتحف غدًا.

- غدًا!! كيف ومتى؟!

- في الصباح سوف يأتي مدير المتحف ويضع في مكتبه حقيبة بها قطع مزيفة طبق الأصل من القطع التي سوف تُسرَق، وفي المساء سوف يأتي أحد رجالهم ليقوم بتبديلها، يجب أن تبلغ الشرطة.

زفر (توفيق) مرددًا:

- الشرطة!! لا لن أبلغ الشرطة، اسمع يا صديقي واصل عملك الليلة بشكل طبيعي وإذا حدث أي جديد أخبرني، وغدًا سوف أهاتفك حتى أخبرك ما سيحدث.

نهضت (نورين) وهي تشهق متسائلة:

- أبوك هو من سرق المتحف الفرعوني؟!

نظر (آدم) إلى أسفل وهو يجيبها:

- نعم، هل سمعتِ عن تلك القضية؟

تبسمت بحزن معلقة:

- حدثني أبي عنها من قبل كانت قضية رأي عام وقتها وتقريبًا كنت في الخامسة عشرة من عمري.

ثم نظرت إليه حتى يكمل ما بدأه عاد مرة أخرى برأسه إلى الوراء قائلًا:

- في اليوم التالي اتفق أبي مع زميله إسماعيل قبل أن يأتي السارق قاموا هم بتبديل القطع ليلًا ولكن كان يجب على أحدهم أن يضحي ويهرب بالقطع فمن الصعب أن تبقى معهم في المتحف، ولكن لم يثق أيٌّ منهم بالآخر حتى اتفقا أن يقوما بدفنها بجوار المتحف وينتظرًا ما سيحدث

اعتدل (آدم) وأشعل سيجارة ليكمل:

- فجأة إسماعيل عاد لرشده عندما أتى السارق وقام بكسر الزجاج والصندوق وأخذ القطع الزائفة، فطلب من أبي إعادتهم حتى لا يتعرضوا للمعاقبة ولكن أبي رفض و.....

- أكمل يا آدم.

- قامت بينهم معركة حتى أخبره أبي بالأخير أنه موافق فأخذه إلى الأرض الخالية التي دفنوا فيها القطع وطلب من إسماعيل الحفر، وبمجرد ما انحنى انقض عليه أبي بالفأس وقتله.

شهقت (نورين) لينظر إليها (آدم) قائلًا بغضب:

- نعم قتله، أبي قاتل.

انتهى وظل يبكي حتى استمع إلى طرق باب الغرفة فاعتدل ليجد العجوز تضع أكواب الشاي وذهبت مغلقة الباب خلفها اقتربت منه (نورين) وهي تضع يدها على كتفه وتحدثت:

- ليس عليك ذنب أكمل يا آدم.

تنهد وهو يواري عنها وجهه متحدثًا بصوت مختنق:

- أخذ القطع وجاء إلينا أنا وإخوتي وأنا الوحيد الذي أخبرني بكل شيء وطلب البقاء هنا مع أخي عمران حتى يأتي وياخذني ووعدته أن لا أخبر أحدًا كما اتفقنا.

- وماذا فعل مع ربيع الذي أبلغه؟!

قالتها (نورين) وهي تنظر جانبها ليصمت هو قليلًا ثم أجابها بحزن:

- ربيع كان الرجل الوحيد الذي يعلم بما حدث وفي نفس الوقت كان أبي يحتاج إلى جثة أخرى بجوار إسماعيل ليضع معها أوراقه الشخصية وتظن الشرطة أنه مات.

حدقت إليه متسائلة:

- ماذا!!

- نعم، أبي قتل ربيع وشوَّه وجهه وقطع جسده حتى لا يتعرف أحد عليه ووضع معه بطاقته الشخصية فعندما ذهب (عمران) للتعرف عليه وجد ملابسه والخاتم في يده فظن أنه أبي دون تركيز منه.

- أكمل...

قالتها بيأس بينما أشعل هو سيجارة أخرى متحدثًا:

- جاء إلى أبي بعد أن أصبح ميتًا أمام الشرطة وذهبنا كي نعيش في القاهرة، الجريمة الثانية التي ارتكبها هي أول محاولة لبيع القطع، قتل رجل خليجي ومساعديه وأخذ المال وهرب بالقطع مرة أخرى فتوسعت أعماله خلال سبعة أعوام من سرقة المتحف وبدأ في إنشاء مثلث النجاة.

- ماذا يعني مثلث النجاة؟!

- أنا وإخوتي لكل منا رقم ضلع ولكن أبي لم يتخلَّ عن قوانينه المريضة وعاد يتواصل مع أخي (يعقوب) عبر الهاتف فقط، أما أخي عمران كانت رسائله من خلالي أطلق على نفسه اسم (الشمندري) ليصبح شخصية جديدة بينهم لا أحد في الدنيا يعلم أنه (توفيق) غيري.

- أبوك هو (الشمندري) الذي حدثتني عنه؟!

- نعم، أراد أن يصنع عصابة بشكل جديد يجعل إخوتي يهابونه بشدة وكأنه إله لأنهم لم يروه من قبل ولم يتصوروا هيئته وملامحه وهذا جعلهم يظنون أنه بإمكانه أن يفعل أي شيء كما أخبرهم أبي من قبل.

(11)

نحن على قيد الحياة طالما لم نكتشف الحقيقة بعد.

**

توقف (ياسر) بسيارته أمام محل السجائر وخرج منها مترجلًا إليه، كان المحل لونه أزرق على شكل حاوية حديدية فدلف إليه وهو يلقي السلام على الرجل الجالس رمقه صاحب المحل متحدثًا:

- مرحبًا بك اجلس أنا أعلم ماذا تريد.

أومأ (ياسر) بثقة وهو يجلس أمامه واضعًا قدمًا على الأخرى قائلًا:

- أنا أحترم الرجال الذين لا يخافون.

ضحك الرجل ضحكة قصيرة فتابع (ياسر):

- أخبرني قبل أن أبدأ ماذا تعني كلمة (الشمندري).

- هي كلمة من اختراعي لا يعلم أحد حتى الآن معناها.

عقد (ياسر) حاجبيه ساخرًا وهو يعلق:

- أنت رجل غريب لم تندهش أنني اطلعت على حقيقتك.

أغمض العجوز عينيه مستنشقًا الهواء ثم نظر إليه من أسفل إلى أعلى قائلًا:

- أنا بائع سجائر كما ترى تلك هويتي.

- حقك، أنا معك أنك بائع ومعك في أنك لم تندهش ولكني سوف أخبرك بشيء آخر، كيف حالك يا (توفيق)؟!

ابتلع الرجل ريقه بينما ضحك (ياسر) ضحكات صاخبة متحدثًا:

- أخيرًا رأيتك وأنت مندهش يا رجل.

قالها وواصل ضحكاته العالية متابعًا:

- هيًا يا (توفيق) أخبرني أين القطع، لا وقت لدينا يا رجل.

ظل العجوز مستندًا على عصاه متأملًا وجه الضابط الذي يتحدث ويضحك في نفس الوقت حتى أجابه:

- ابحث عنها بالطبع لم أضعها في جيبي.

أومأ (ياسر) محتفظًا بملامحه السعيدة وردً:

- بالطبع، ولكن إذا لم تخبرني بمكانها سوف تقضي ما تبقى من عمرك في السجن أنت وابنك.

ما إن انتهى حتى وجد باب الحاوية يُغلق فالتفت إليه ليتحدث العجوز بنفس هدوئه:

- لا تخف لقد أغلقته حتى نتحدث على راحتنا.

أخرج (ياسر) سلاحه ووجهه أمام الرجل قائلًا منفعلًا:

- أخبرني وإلا قتلتك.

لم تتغير ملامح الآخر وظل مستندًا بلحيته على عصاه فصاح فيه الضابط:

- قلت لك تحدّث وإلا قتلتك.

- لا تستطيع.. اقتلني إذا أردت.

**

توقف أمام باب المنزل وقام بفتحه بواسطة أداة حادة ثم بدأ يفتش بداخله حتى دلف إلى إحدى الغرف فاتحًا دولابها حتى وجد حقيبة سوداء جلس بها على الفراش وقام بفتحها فرأى بداخلها القطع الثلاث، أغلق الحقيبة مرة أخرى وغادر الشقة مغلقًا الباب خلفه.

**

- هكذا يا نورين) أصبحتُ (آدم) صديق الكلب الذي جلبه لي أبي من الخارج.

كانت تنظر إليه وهي تبكي بشدة ثم توقفت متسائلة بصوتٍ عالٍ:

- ولماذا تريد أن تتزوجني؟!

أجابها في الحال:

- لأنني أحبك، وعندما أحببتك تمنيت أن أترك كل شيء وأختارك أنتِ.

ظلت تحرك رأسها يمينًا ويسارًا ثم قالت:

- لا يمكن أن نتزوج يا (آدم) هذا مستحيل.

اقترب منها ممسكًا يدها بكلتا يديه قائلًا:

- انظري إليَّ ألا ترين الحب في عيني، ماذا سيحدث لو تزوجنا وتركنا هذا العالم كله لو ذهبنا إلى جزيرة

بعيدة وشيدنا منزلًا وأنجبنا أطفالًا تشبهك ملائكة يا نورين.

نهضت مندفعة إلى الباب وهي تفتحه قائلة:

- اذهب يا آدم كل مرة التقينا فيها تعرضت للخطر، ماذا لو أنجبنا هؤلاء الملائكة وقتلتهم الشياطين الذين يريدون قتلك.

نهض (آدم) حاملًا داخل عينيه عتابًا قاسيًا فتوجه إليها وهو برد:

- لماذا!!! قلت لكِ مستعد أن أفعل أي شيء لأجلك.

ظلت (نورين) تبكي بصوت عال مستندة بيدها على باب الغرفة بينما تنهد هو متابعًا:

- سوف أرحل ولكن تذكري جيدًا؛ أنتِ لم تختلفي عن أبي كثيرًا، فهو جعلني مجرمًا وأنتِ رفضتِ توبتي.

انتهى مغادرًا الغرفة، أمسكت بيديه فالتفت إليها ناظرًا إلى أصابعها التي تقبض على معصمه ثم نظر إلى عينيها وهي تبكي لتقول:

- أنت لا تعلم شيئًا، ولكني أحببتك.

ظل محدقًا إليها لتعانقه بقوة وهو قبلَ هذا العناق بيديه التي التفَّت حول رقبتها.

**

يجلس (سليمان) على حقيبة سيارته ممسكًا بهاتفه طالبًا (آدم) عدة مرات، ولكنه لم يوافق على

مكالمته، ازدادت حيرته فهو على موعد معه الآن حتى حقه مقابل العمليات التي نفذها له هو وفريقه، ويعلم أيضًا أنه سيسافر اليوم ومعه الثلاث قطع، ولكنه لن يستطيع تهريبهم إلا بواسطته، لم يجُل في خاطره إلا احتمالان الأول هو؛ أن (آدم) تم القبض عليه وفي تلك الحالة سيكون معه عذر، الاحتمال الثاني هو أنه قرر تهريب القطع بخطة أخرى ولم يعطه حقه وفي تلك الحالة سوف يذهب هو وفريقه ويقتله هو ومَن معه، ظل يعاود الاتصال به حتى بصق غاضبًا على شاشة الهاتف وألقى به أرضًا ثم نهض وهو يصيح في منتصف الطريق:

- ويلك يا (آدم) إذا بدأت بالخيانة.

قالها راكبًا سيارته منطلقًا إلى النادي الخاص به هو وفريقه بينما تتبعته سيارة أخرى وظلت تلاحقه إلى أن توقفت أمامه فجأة فتوقف هو ممسك بسلاحه خارجًا من سيارته منفعلًا ولكنه أنزل يده التي تحمل السلاح إلى أسفل وهو يقول:

- أنت!!

ترك الآخر سيارته وهو يقترب منه قائلًا:

- إذا ساعدتني سوف يكون نصيبك قطعة من الثلاث.

عقد (سليمان) حاجبيه وهو يجيبه:

- وماذا تريد مني؟!

- اركب معي وسوف أخبرك بكل شيء.

تقدم إليه (سليمان) بخطوات بطيئة حتى توقف أمامه ونظر إلى عينيه هامسًا:

- إذا فكرت في خداعي سوف أسحقك أنت ومَن معك.

تبسم الرجل مشيرًا له إلى السيارة كي يركبا وسلكَ طريقًا آخر بسرعة.

**

حاول (عمران) التواصل مع (ياسر) عبر السماعة ولكن الاتصال بينهما انقطع الأمر غير معروف، كان من المفترض أن تتوقف الخطة هنا لأنه لم يأخذ أي أوامر منه حتى الآن، ولكنه رأى أنها فرصة جيدة من أجل إثبات نفسه أمامه ليس في عمله كضابط بل كرجل شجاع يستحق أن يزوجه ابنته صحيح (ياسر) لا يعلم بحبه لابنته ولكنه حينها لم يمانع، دلف إلى سيارته بمفرده لتصبح مأمورية غير مشروعة وانطلق بسرعة في طريقه إلى منزل (آدم) أصبح كالأعمى لا يرى شيئًا غير وجهها يتوعد بداخله لأخيه أن عارضه أحدٌ سوف يقتله، لم يتراجع أو يفكر في الانسحاب للحظة بعد اطلاعه على تلك المعلومات صحيح الحب أعمى، ولكنه يهدي إلى سبيل الرأفة وليس للقسوة، كان يعلم أن المنزل خالٍ الآن وليس به أحد، فأخوه بالخارج وأبوه بين يدي (ياسر) ربما قتله أو قبض عليه، لا يهم ما حدث طالما هو الوحيد الذي بإمكانه معرفة مكان القطع بعد قليل.

**

بعد عناق طويل ظلَّ لأكثر من عشر دقائق تراجعت (نورين) وهي تطلب منه الجلوس مرة أخرى حتى يكمل حديثه، كان (آدم) في حالة غريبة لم تحدث له من قبل أصبح كالطفل

الصغير لا يعي لشيء ولا يكترث إلا لإرضاء هذه الفتاة، جلس بجوارها فبدأت هي بسؤالها:

- أخبرني يا آدم ماذا ستفعل مع والدك إذا تزوجنا؟!

أجابها بصوت قوي، كأن الأمل رُد إلى روحه:

- لا يهم لن أفعل معه شيئًا، سوف أتركه وشأنه.

أومأت (نورين) متابعة بسؤال آخر:

- والقطع التي سرقها؟

عقد حاجبيه مستفهمًا بهزة رأس طفيفة فأردفت بحدة:

- لدي شرط كي نبدأ معًا حياة جديدة، يجب أن تسلم القطع إلى الشرطة.

تبسم ساخرًا ثم حدق إليها قائلًا:

- متأكدة أنكِ تريدين أن نبدأ حياة جديدة خارج قضبان السجن؟

اعتدل وهو يتابع بجدية:

- لو سلمت القطع للشرطة سوف يتم القبض عليَّ وعلى أبي.

- لا لن يحدث ذلك وسوف يعتبرونك «شاهد ملك».

- شاهد!! هل تقصدين أنني أوشي على أبي؟

نظرت إلى السفل متحدثة بصوت منخفض:

- أبوك تسبب في أذية أشخاص كثيرين، غير هؤلاء القتلى، أقصد أذى نفسيًا.

رفع رأسه متأملًا إياها بغضب ثم أجابها:

- لا، لن أفعل ذلك حتى وإن كان أبي إبليس نفسه، فهمتِ؟!

نهضت غاضبة متحدثة بنبرة حادة:

- أبوك قاتل وسارق ولا بُد أن يعاقب حتى تطهّر أنت نفسك.

تبسم بمنتصف شفتيه معقبًا:

- إذا دلفت الشرطة إلى منزلي سوف تجد ممرًا، في آخره على اليسار برواز معلق يحتوي على صورة كلبي، إذا نزعوا البرواز وضغطوا مرتين على الحائط سوف يُفتح لهم باب وإذا دلفوا إلى هذا الباب سيجدون بروازًا آخر أمامهم في المنزل السري، أخبريهم أن يقوموا بنزعه ويضغطوا ثلاث مرات على الحائط حتى تفتح لهم نافذة بداخلها خزينة كلمة المرور هي (الشمندري).

جلست (نورين) مرة أخرى وهي تسأله بعطف:

- لماذا تقول لي ذلك؟!

- حتى تفعلي ما تشائي، أبلِغي الشرطة....

قاطعته وهي تضع يدها على فمه قائلة:

- لم أقصد ذلك وأقسم لك إنني لا أريد إلا الخير لنا، أعتذر منك على ما حدث لم أقصد ذلك.

أومأ (آدم) مستفهمًا ورد:

- وأنا أعلم ولكن أخبريني كيف أسلم القطع للشرطة دون أن يقبضوا عليَّ أو على أبي؟

**

توقف (عمران) أمام المنزل بعد أن استمع إلى حوار (آدم) مع (نورين) مخرجًا سلاحه متوجهًا إلى الداخل، وجد الباب مفتوحًا، فظل يترقب حوله مقتحمًا المنزل الخارجي متخذًا الممر بسرعة حتى توقف أمام البرواز واضعًا مسدسه جانبه وقام بنزعه ملقيًا به أرضًا ثم بدأ بالضغط على الحائط مرتين من أعلى وأسفل ليفتح له الباب، تقدم إلى المنزل السري مغلقًا الباب خلفه ليجد البرواز الآخر فتبسم إليه قائلًا:

- يعجبني بك يا أخي أنك تصف بدقة، مسكين.

تقدَّم إليه وهو ينزعه كي يواصل عمله وضغط ثلاث مرات على الحائط حتى تفتح له النافذة وتظهر أمامه الخزنة وبدأ يدخل كلمة المرور، بمجرد ما انتهى أصدرت رنين إنذار قوي فاستمع إلى خطوات سريعة تقترب منه فاستدار لينقض عليه الكلب ساقطًا به أرضًا مغلقًا فكه بقوة على رقبته، صرخ (عمران) بصوت عالٍ وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة بين ذراعي (بيل).

بداخل إحدى الغرف يختبئ (سليمان) ويد رجل آخر موضوعة على فمه حتى لا يصدر أي صوت تراجع محررًا فمه وهو يهمس:

- ماذا يحدث بالخارج؟

- يبدو ان الكلب التهم شخصًا آخر غير رجال الشرطة، دعني أنظر.

انتهى وهو يفتح الباب ببطءٍ مخرجًا رأسه محدقًا بفزع وهو يصرخ قائلًا:

- (عمراااان).

التفت الكلب إليه راكضًا نحوه حتى سحبه (سليمان) مغلقًا الباب عليهما متسائلًا:

- مَن يكون (عمران)؟!

ظل الآخر يبكي وهو يخر أرضًا مرددًا:

- لماذا يا آدم لقت مات أخوك بسبب هذا الكلب اللعين.

كان الكلب بالخارج يدفع الباب برأسه حتى يصيب أخشابه بأي شرخ ويقوم بقطعه بأسنانه، نهض (سليمان) قائلًا:

- (يعقوب)، لا وقت علينا الهرب وإلا سوف أقتل كلب آدم.

لا تحزن يا صغيري إذا أردت أن أسامحك حقًا اترك (الشمندري) وتزوج وعش حياة كريمة لأن هذا العجوز مجرد مريض نفسي.

أومأ (آدم) وهو يبكي ليضع (يعقوب) يده على رأسه، ولكنها سقطت ليحدق إليه أخوه قائلًا:

- *(يعقوب)!! لا تمُت أرجوك سوف أنفذ أوامرك كلها، ولكن لا تتركني.*

ظل يهز جسده بقوة وهو يصرخ فيه حتى يستيقظ ليضع رأسه على صدر أخيه دون أن تصدر منه أي ردة فعل.

لكنه استمع إلى ضربات قلبه وهذا يعني أنه لا زال على قيد الحياة، حمله وركض به من الباب الخلفي ووضعه في سيارته منطلقًا به إلى المشفى حتى توقف وحمله مرة أخرى دالفًا به إلى الداخل واضعًا يده على مكان الإصابة حتى لا ينزف ليحوله الطبيب إلى غرفة العمليات مباشرةً وعاد إلى منزله ليبلغ عن الحادث.

**

توقف (آدم) عن الحديث مخرجًا هاتفه معتذرًا منها موافقًا على المكالمة التي أتته من أخيه (يعقوب) ما إن وضع الهاتف على أذنه حتى وجده يبكي قائلًا:

- (آدم)، الكلب التهم عمران وهو يحاول فتح الخزنة، والآن نحن مُحتجَزان داخل غرفتك وهو على وشك الدخول إلينا، تعال بسرعة قبل أن نقتله.

سقط الهاتف من يد (آدم) لينهض وهو يحدق في (نورين) بغضبٍ أنت في ذاكرته عدة مشاهد:

«وأنا لم أغفل.. قالها (آدم) بعصبية ليخرج العجوز من جيبه هاتفًا محمولًا وقام بتشغيل مقطعًا صوتيًا «سوف أبدأ أنا بالبحث في قضية اختفاء إسماعيل وأنت في قضية ربيع، وفي النهاية سنصل إلى نتيجة جديدة، أرجوك لا تستسلم مرة أخرى يكفي أن الجهاز أعطاك فرصة جديدة لا تضيعها».

«لأول مرة تتحدث الفتاة منذ أن أتت إلى هنا لتجيبه:

- *أشكرك، أنت شخص نبيل.*

استدار إليها بفزع ثم عقد حاجبيه متسائلًا:

- ماذا قُلتِ؟!

ارتبكت الفتاة لترد سريعًا:

- «لم أقل شيئًا، أنا أشكرك فقط على ما فعلته لأجلي»

ليبتسم (آدم) بحزن ممسكًا بيدي (نورين) حتى توقفت وبدأ حديثه:

عندما أخبرني أبي أن الضابط وابنته يفتشان وراءنا قدَّم لي ملفًا صوتيًا بينكما تتحدثان فيه، وعندما قمت بتحرير الفتاة التي زعمت أنها ابنة (ياسر) شكرتني لأجد لدغة في لسانها بحرف الراء عندها تأكدت أن كل ما حدث مجرد لعبة لم تكتمل معلوماتي إلا عند إرسالك لي الرسالة الصوتية وأنا في الطريق إليكِ.

أجابته بأنها في طريقها إلى منزلها كما طلب حتى لا يراهم أحد فطلب منها تحديد الموقع عبر التطبيق، وأنهى المكالمة ذاهبًا إليها.

مرت لحظات حتى أرسلت له ما طلبه ومرفق معه رسالة صوتية منها ليستمع إليها ولكنه حدق مندهشًا، ما هذا؟! إنه نفس الصوت الذي استمع إليه على هاتف أبيه لابنة (ياسر عز الدين).

- عندها اكتشفت الخدعة، إنكِ يا (نورين) ابنة (ياسر) ولا تريدي مني شيئًا إلا أن أعترف لكِ بمكان القطع فذهبت إلى أخي (يعقوب) بعد أن جهزت له ورقة بالخطة الجديدة.

توقف أمام أحد المقاهي وخرج من سيارته متجهًا إلى الداخل مترقبًا حوله حتى لا يراه أحد ثم توجه نحو إحدى الطاولات ليجلس بجوار رجل يضع صفحات الجرنال أمام وجهه حتى لا يراه أحد.

- هل أحضرت الجوازات؟

قالها (آدم) ليمد الرجل يده في حقيبته ويخرج ظرفًا من حقيبته ليأخذه منه متابعًا:

- *انتظر مكالمتي لتجهيز الجواز الأخير.*

انتهى وهو يضع أمامه ورقة، أومأ الرجل دون أن يتحدث لينهض (آدم).

التقط (يعقوب) الورقة ليضعها بين صفحات الجرنال وبدأ يقرأ.

- نعم يا (نورين) وضعت خطة كاملة لكِ ولأبيكِ، وهو الآن في مصيدة (الشمندري).

ظلت الدموع تنهمر على وجه (نورين) متذكرة الخطة التي وضعتها مع أبيها.

أعتذر منك عما حدث مني في منزلك، ولكن علمت أن الكلب قام بزيارتكم وهذا يعني أنهم كانوا يستمعون إلينا فأردت أن أضع لك الورقة بالعنوان دون أن يلاحظوا شيئًا، وأنتِ يا أستاذة عائشة سوف أحتاجك معنا إذا وافقتِ.

اومأت (عائشة) وهي تقول:

- *لا مانع فأنا أعشق المغامرات.*

حدق إليها (عمران) ليضحك (ياسر) قائلًا:

- *إنها قضية سوداء كما قلت.*

ثم تابع:

- سوف تبقين في منزلي يا عائشة لأنهم سيحاولون اختطاف ابنتي.

شهقت (عائشة) بينما (نورين) بجوارها متحدثة:

- لا تخافي نحن بجوارك، ولكنني سوف أظهر لهم بشخصية فتاة أخرى حتى أعلم بمكان القطع.

ظلَّ (آدم) يصفق لها ثم صاح في وجهها قائلًا:

- كاذبة، أنتِ كاذبة.

ثم أخرج سلاحه ودفعها للخلف متسائلًا بنفس غضبه:

- كيف وصلتِ إلى (ضياء)؟!

- كان أبي يعلم أنه يعمل معكم ودائمًا يتناول غداءه في أحد المطاعم، اتفقنا مع مدير المطعم أن أعمل نادلة للتحري عن أحد العناصر في عصابة خطيرة وهو لم يمانع، حاولنا لفت انتباهه بالمعاملة السيئة التي كان يعاملني بها مدير المطعم حتى طلب مني العمل في منزلك والتقينا.

تبسم (آدم) بحزن ثم نظر إليها قائلًا:

- كيف جعلتِ قلبي يقع في عشقك، كيف علمتِ بمكاني وأنا في الحديقة.

- أخبرني أبي بمكانك عن طريق المخبر السري الذي كان مكلفًا بمراقبتك.

هز (آدم) رأسه متذكرًا..

انتهى وهو يشير إلى كلبه ليواصل اللعب معه أما هي ظلت واقفة تشاهدهما مبتسمة ثم أخرجت هاتفها وتحدثت فيه قليلًا لينظر لها (آدم) وهو يحمل كلبه متحدثًا بصوتٍ عالٍ:

- *إذا كنتِ تهاتفين حبيبك ليأتي ويتشاجر معي أخبريني حتى أهرب.*

ضحكت (نورين) مقتربة منه حتى توقفت أمامه وردَّت:

- *لا كنت أهاتف أبي وأخبرته أنني سوف أتأخر ساعة أخرى حتى العب مع الكلب.*

- كنتِ تبلغين أباكِ بمكاني حتى يقبض عليَّ.

نظرت إلى أسفل دون أن تجيبه فوضع مسدسه في خصره مغادرًا المنزل وهو يقول:

- لن أقتلك لأنني أحبك.

ثم نظر إليها وتابع بصوت مختنق

- رغم أنكِ قمتِ بقتلي يا (نورين).

لا زالت لا تستطيع الرد فنظر إلى السيدة العجوز التي فتحت له الباب مشيرًا إليها وهو يسأل:

- وهذه مَن تكون؟!

- زوجة شكري وأم عائشة التي كانت في منزلكما.

أومأ بحزن وذهب مغلقًا الباب خلفه.

**

هو لم يصمت أو يتركهم فقط كان يتتبعهم، يشاهد من بعيد ما سيحدث لهم حتى يتدخل في الوقت المناسب بعد خدعة (الشمندري) وقتل (آدم) لرجاله ومحاولة قتله، وبعد ظهور (يعقوب الذي استطاع أن يأخذ ما تبقى من ثروته، قرر خطفهم جميعًا حتى يستعيد حقه منهم وبعد ذلك يقتلهم.

نهض (نبيل) أمام رجاله في المكتب وهو يقول:

- أريدهم أحياء هو وأخوه وهذا الرجل الذي يدعى (الشمندري).

ثم نظر أمامه متابعًا:

- وصلتني معلومات مؤكدة أنهم يجهزون رحالهم الليلة وأنتم الآن مجهزون على أعلى مستوى، إذا لم تأتوني بهم سوف أقتلكم بدلًا منهم.

انتهى وهو يشير لهم بالذهاب لينهضوا جميعًا، كانوا سبعة رجال مسلحين ومدربين أيضًا على القتال السريع واقتحام الأماكن الصعبة، غادروا المنزل متفرقين إلى مجموعتين كل فريق في سيارة سوداء ضخمة، وانطلقوا متوجهين إلى منزل (آدم).

**

اجتمع مدير الأمن برجاله في اجتماع طارئ حتى يدرسوا ما حدث لـ (ياسر) و (عمران) واختفاؤهما خلال التحقيق في قضية سرقة المتحف، استطاعوا تحديد آخِر مكان تواجدا فيه، اكتشفوا أنهما تقريبًا في مكانٍ واحد وهو منزل (آدم) وبعد عدة مشاورات قرروا بالإجماع الهجوم على المنزل بواسطة قوات خاصة ثم بدأوا برصد الموقع عبر القمر

الصناعي ودراسة مداخل ومخارج الخريطة، تولى أحد الضباط المختصين وشرح الخطة قائلًا:

- المنزل محاط بحديقة مساحتها أربع مئة متر ولها ثلاثة أبواب، باب رئيسي على الطريق وباب خلفي صغير يؤدي إلى طريق جانبي آخر وباب جانبي منخفض يشبه النافذة الأرضية المنزل مساحته من الداخل منتان متر فقط وهذا يجعلنا نضع سؤالًا هنا.

تحدث أحد الضباط بحماسة:

- الباب الخلفي للحديقة غير متناسب مع مساحة المبنى.

أومأ الضابط وهو يعقب:

- بالضبط. الباب خلفي يشير بعيد عن المبنى ولا يقابله أي أبواب أخرى

تحدث ضابط آخر متسائلًا:

- وأين موقع محل السجائر الذي أشار إليه (ياسر) في ملف القضية؟

- هذا هو السؤال، ظهر على القمر الصناعي حاوية مكان هذا الباب والآن اختفت تمامًا.

- تقصد أن تلك الحاوية متحركة وهي المحل نفسه.

- أعتقد ذلك؛ لذا يجب محاصرة المكان جيدًا قبل الاقتحام هذا المنزل ليس بسهل أبدًا.

الفصل الأخير

نحن جميعًا مجرد ضحايا لقرارات خاطئة اتخذناها دون وعي كافٍ.

**

لا زال الكلب يحاول كسر الباب وقد أنجز الكثير وأصبح فمه يظهر لهم بالداخل وهو يحطم الخشب بأسنانه، تراجع (سليمان) مخرجًا سلاحه وهو يقول:

- أين أخوك يا يعقوب دقائق وسوف يستطيع الكلب الوصول إلينا وتلك الغرفة ليس لها نوافذ سوف نضطر إلى قتله.

زفر (يعقوب) ممسكًا هاتفه وهو يعاود الاتصال مرة أخرى بأخيه، ولكنه لم يستجب، سأله (سليمان):

- وماذا عن خطتك معه، هل ما يحدث ضمن الخطة؟!

هز رأسه يمينًا ويسارًا متحدثًا:

- كان من المفترض أن نذهب من المنزل ولكن قدوم (عمران) غيَّر كل شيء اسمع سوف أخرج أنا مراوغًا الكلب واهرب أنت بالحقيبة يا سليمان، انتظرني في سيارتك.

عقد (سليمان) حاجبيه وهو يرد بدهشة:

- سوف يأكلك أنت لا تعلم شيئًا عن شراسة هذا الكلب.

وضع (يعقوب) يده على الجرح القديم الذي سببه له (بيل) ليعلق:

- لا أعلم جيدًا، ولكن لا وقت بعد قليل ربما تأتي الشرطة لتخلص الضابط.

- الشرطة؟!

- نعم، سوف أخرج الآن وأغلق الباب خلفي، إذا تمكن مني الكلب أقتله قبل أن يأكلني.

أومأ (سليمان) بينما أمسك (يعقوب) بغطاء الفراش ووضعه على جسده ثم أمسك بالوسادة وراغ إلى رفيقه حتى يفتح الباب ويتراجع فتقدَّم (يعقوب) وهو يدفع الكلب بالوسادة في رأسه كي يبتعد أغلق (سليمان) الباب مرة أخرى متحدثًا إلى فريقه عبر جهاز اللاسلكي:

- أنا بمنزل (آدم) استعدوا للهجوم ومن الممكن أن نتشابك مع الشرطة، زودوا حقائبكم بالذخيرة.

انتهى وهو يضع أذنه على الباب فاستمع إلى صراخ (يعقوب) بعيدًا، فتح الباب مخرجًا سلاحه ليراه نائمًا أرضًا موجهًا الوسادة نحو الكلب الذي كاد أن ينتزعها بفمه ويقتله، خرج (سليمان) وهو يصيح في الكلب:

- تعالَ هنا يمكنك مهاجمتي.

استدار إليه الكلب برأسه ثم عاد مغلقًا فمه على الوسادة محاولًا أن يسحبها من بين يديه بينما كرر (سليمان) صياحه فصرخ فيه (يعقوب):

- اقتله يا سليمان

تقدم (سليمان) وهو يشد أجزاء سلاحه مقتربًا من الكلب حتى وجد الباب يفتح بقوة ورأى (آدم) ينقض على كلبه قائلًا:

- لم أعطِك أوامر بقتله توقف الآن.

تراجع (بيل) وهو ينظر إلى صاحبه جالسًا بجواره، زفر (سليمان) واضعًا سلاحه جانبه وهو يقول:

- لقد تأخرت يا صديقي.

نهض (آدم) ممسكًا بيد أخيه مساعدًا إياه في النهوض، تحدَّث يعقوب بغضب:

- كلبك لعين يا (آدم) للمرة الثانية كاد أن يقتلني، أعطِه أمرًا بعدم التعرض لي مرة أخرى.

أومأ (آدم) واضعًا يده على رأس كلبه متحدثًا:

- اسمع يا بيل هذا أخي اتبع أوامره أيضًا واعتبره صديقك.

نهض الكلب وهو يقترب من (يعقوب) وبدأ يشم جسده فتابع (آدم):

- هكذا أصبحتما أصدقاء.

بمجرد ما انتهى استمع لجهاز الإنذار الخارجي فضغط على زر الشاشة مشاهدًا السيارات تتوقف أمام منزله وخرج منها رجال (نبيل) بأسلحتهم الفتاكة. وضع يده أسفل رأسه قائلًا:

- ما هذا لم يكن في حسباني يا (نبيل) أنك سوف تأتي في ذلك الوقت.

نظر (سليمان) إلى الشاشة وهو يسأل:

- مَن هؤلاء؟!

- رجال (نبيل).

انتهى وهو ينظر إلى أخيه قائلًا:

- أنت لا تستطيع إطلاق النار باحترافية لذلك سوف تختبئ ومعك الكلب حتى لا يقتلوكم.

ثم نظر إلى (سليمان) متسائلًا:

- أين فريقك؟!

وضع الجهاز على أذنه مخرجًا سلاحه وهو يجيبه:

- على وصول يا صديقي سوف نقضي عليهم لا تقلق.

**

القبض على (توفيق) (الشمندري)

- لا وقت يا (توفيق) سوف تأتي الشرطة وتحررني وتقبض عليك، افتح الباب أرجوك.

نظر (توفيق) أمامه متحدثًا بيأس:

- لا أستطيع، لا يمكن لأحد أن يفتح بابها من الداخل، تم تصميمها هكذا ليس بها أي شبكة اتصالات ولا أحد يستطيع تحطيمها أو فتحها من الداخل.

ظلَّ (ياسر) محدقًا فيه ثم تحدث غاضبًا:

- إذًا سوف تكتشف الشرطة وتفتح الباب لنا، ولكن حينها سوف يتم القبض عليك.

- لن تكتشف الشرطة مكانها ولن تجدها.

عقد حاجبيه متسائلًا:

- ماذا تقول؟! كيف؟!

- لأنها متحركة مجرد ما أغلقت بابها علينا تحركت على سير حديدي إلى موضعها الأصلي، أسفل المنزل.

ركل (ياسر) الكرسي بقدمه وهو يصيح:

- لماذا ماذا تريدون في النهاية؟

- لا شيء سوف نرحل خارج البلاد فقط.

قبل أن يتحدث (ياسر) وجد الباب يفتح ليدلف إليهم (آدم) قائلًا:

- ادخل يا (يعقوب)، وأنت يا بيل لا تهاجم هذا الغريب.

ثم نظر إلى أبيه وتابع:

- أبي، إذا قتلوني لا تترك (يعقوب) بمفرده ولا تجعله قاتلًا مثلي.

حدق فيه أبوه وهو يجيبه بصوتٍ عالٍ:

- لن يقتلك أحد، أخبرني ماذا يحدث بالخارج؟

حاول (ياسر) الهرب فدفعه (آدم) منفعلًا وهو يقول:

- ابقَ مكانك.

قالها وهو يشد من يده المسدس مغادرًا وقبل أن يغلق الباب خلفه تحدث إليهم:

- نحن جميعًا في خطر لذلك كونوا لطفاء حتى يستقر الوضع بالخارج.

أغلق الباب عليهم وعاد إلى (سليمان) متسائلًا:

- أين فريقك؟!

- على سطح المنزل يتشابكون مع الرجال، ولكن يبدو أنهم أقوياء، حوالي سبعة لديهم رشاشات وآخر اتخذ البناية الأخرى بقناصة.

- هل درست خريطة المنزل الذي أعطاها لك يعقوب؟!

أومأ (سليمان) ليتابع (آدم):

- هيا بنا أعطِ رجالك إشارة الهجوم.

انتهى ممسكًا بسلاحه فاتحًا الباب، خرج خلفه (سليمان) والذي توقف قبل أن يعبر الممر هامسًا إليه:

- أحدهم بالداخل، تتبع صوت حذائه.

أومأ (آدم) وهو يخطو بخطوات بطيئة واضعًا الكاتم في مقدمة سلاحه ومدًّ يده خارج الممر مطلقًا رصاصة ثم نظر إلى (سليمان) قائلًا:

- أصبحوا ستة.

تبسم له (سليمان) ليرد:

- اترك السادس لي.

انتهى وهو يركض صاعدًا الدرج المؤدي إلى الطابق الأول ليجد أحد رجال (نبيل) يقف في الشرفة مصوبًا سلاحه نحو الفريق الذي يتسلل الأشجار، أمسك برأسه من الخلف ودفعه إلى الخارج وقبل أن يسقط أطلق عليه رصاصة فوقع جثة ليردد بعدها:

- أصبحوا خمسة.

بدأ رجل القناصة يصوب نحوه حتى تمكن من تحديد منتصف رأسه كهدف، وقبل أن يطلق عليه قتله أحد أفراد الفريق عن بُعد ليردد (سليمان):

- أصبحوا أربعة.

ثم صاح في جهازه إلى الفريق:

- اقضوا عليهم الآن.

استمع (آدم) إلى صوته فخرج إلى الحديقة مطلقًا رصاصة على أحدهم ولكنه استطاع الهرب، قفز رجل من فريق (سليمان) إلى الحديقة كي يحمي (آدم) من الخلف ولكنه تلقى عدة رصاصات في جميع أنحاء جسده، صاح (سليمان) وهو يطلق الرصاص على من قتله، ولكنه تلقى رصاصة في ذراعه فالتفت (آدم) وقتل رجلًا آخر ثم اختبأ خلف الشجرة قائلًا بصوتٍ عالٍ:

- سليمان هل أنت بخير؟

- نعم ولكني أصبت في يدي اليمنى.

- أصبحوا ثلاثة يا صديقي، اذهب وحرر الكلب.

أومأ (سليمان) وهو ينهض ممسكًا بذراعه الذي أصيب متوجهًا إلى أسفل حتى دلف إلى الممر ومنه إلى المنزل السري حتى وصل أمام الحاوية وقام بفتحها متحدثًا إلى (يعقوب):

- اترك الكلب حتى يساعد أخاك بالخارج فهو مُحاصَر من قِبَل أشخاص مسلحين.

صاح (يعقوب) قائلًا:

- اذهب إلى (آدم) يا (بيل).

ثم تقدَّم نحو (سليمان) ومد يده إليه قائلًا:

- أعطِني سلاحك سوف أنضم إليهم.

تقدَّم (ياسر) مخرجًا سلاحًا آخر من وراء ظهره متحدثًا:

- وأنا أيضًا.

ثم نظر إلى (توفيق) معقبًا:

- كما اتفقنا؟!

أومأ العجوز فركض (يعقوب) إلى الخارج وخلفه (ياسر). أما (توفيق) فبدأ يتحرك بكرسيه إلى أن وصل إلى صالة المنزل ولم يستطع العبور من الباب العالي و (سليمان) يجلس على الأريكة واضعًا يده على جرحه.

بالخارج لا زال (آدم) يضرب بسلاحه في اتجاهاتٍ مُختلفة والنيران تُطلَق نحوه بكثرة، بدأ رجال (نبيل) بمحاصرته وقال أحدهم:

- ألقِ بسلاحك أرضًا فهو يريدك حيًّا.

حاول (آدم) إطلاق الرصاص عليه، ولكنه اكتشف أن رصاص سلاحه قد نفدَ فرفع يديه إلى أعلى مستسلمًا وهو ينظر حوله فالكلب يهاجم رجلًا أعلى البناية و (يعقوب) يطلق الرصاص من النافذة و (ياسر) ينضم إليه من النافذة الأخرى ولم يتبقَّ إلا ثلاثة رجال من فريق (سليمان) وواحد منهم عاد إليه من أجل إسعافه، تقدم (آدم) أمام الرجل رافعًا يديه، إلى أن خرج به من الحديقة فاتحًا باب السيارة دافعًا إياه إلى الداخل ولكن فجأة سقط أرضًا بسبب طلقتين في ظهره، استدار (آدم) محدقًا بدهشة فوجد (نورين) تقول:

- لقد علمني أبي إطلاق الرصاص أيضًا.

نظر إليها مندهشًا ثم صاح فيها متسائلًا:

- ما الذي أتى بكِ إلى هنا؟

اقتربت منه وهي تتحدث بصوت منخفض ناظرة إلى عينيه:

- جئت لأخبرك أنني أحببتك بحق.

زفر (آدم) غاضبًا وهو يشير إلى منزله معلقًا بصوتٍ عالٍ:

- بالداخل بحور من الدماء والقتلى اذهبي ولا تقلقي على أبيكِ فهو في مكان آمن.

انتهى بعد أن التقط السلاح الرشاش من يد جثة الرجل وركض عائدًا إلى حديقة منزله، وجد الاشتباك مستمرًا ورجال (نبيل) ازداد عددهم من جديد فأخذ سور الحديقة من الخارج كساتر وظل يطلق عليهم النار ليسقطوا واحدًا تلو الآخر ولم يتبقَّ من فريق (سليمان) إلا واحد والذي بدأ يقفز من فوق الأشجار ويطلق الرصاص باحترافية. توقفت

(نورين) بجوار (آدم) من الجهة الأخرى للباب مطلقة رصاصة على أحدهم وهي تسأله:

- هل سامحتني؟

نظر إليها بغضب. ثم واصل عمله وهو يرد بصوت عالٍ:

- أعتقد أننا في مكانٍ غير مناسب لتلك التساؤلات.

ظلت تصوب وتطلق الرصاص متابعة حديثها قائلة:

- لا هذا أنسب مكان حتى أرتاح لو قتلوني.

توقف (آدم) عن إطلاق الرصاص ثم نظر إليها قائلًا:

- لا أحد يستطيع أذيتك وأنا بجوارك.

تنهدت وهي تضحك كالأطفال حتى رأت أباها يخرج من النافذة وفي يده مسدس قد نفدت ذخيرته، حدقت إليه وهي تصيح:

- أبي أنت هنا!!

التفت إليها أبوها ورمقها بغضب قائلًا بصوت عال:

- ما الذي أتى بكِ يا نورين؟

لم ترد عليه ثم نظرت إلى (آدم) قائلة:

- سوف أذهب إلى أبي لأعطيه سلاحي.

أمسكها من يدها قبل أن تذهب وأطلق صافرةً من فمه فالتفت إليه كلبه الذي كان ينقض على أحد الرجال ولكنه تركه وركض نحو صاحبه أمره (آدم) أن يأخذ سلاحًا من الأرض ويذهب به إلى (ياسر) انطلق الكلب بين الجثث ملتقطًا بفمه سلاحًا ناريًا وركض متجهًا حيث ما أمره صاحبه

متلقيًا عدة رصاصات في جسده مواصلًا ركضه قليلًا حتى سقط أرضًا.

صرخ (آدم) بصوت عال جعل الجميع ينظر إليه وهو يدلف إلى الحديقة برشاشه مطلقًا الرصاص على رجال (نبيل) أينما كانوا، فتفاعل معه (سليمان) الذي ربط جرحه وعاود القتال حتى قضوا عليهم جميعًا.

اندفع (آدم) نحو كلبه جالسًا أرضًا بجواره وهو يبكي بمرارة كأنه فقد كلَّ الأشخاص الذين يحبونه، كان نعم الصديق الوفي، اقتربت منه (نورين) وهي تربت على كتفيه مواسية إياه وهو مواصل بكاءه، أتت في تلك اللحظة سيارات الشرطة واقتحمت الحديقة منتشرة في كل مكان، خرج إليهم (ياسر) وهو يدفع الكرسي المتحرك بتوفيق، كان (سليمان) يجلس أرضًا بجوار آخر رجل تبقى في فريقه بينما نهض (آدم) وهو ينظر إلى أبيه متسائلًا:

- أبي!! ما الذي يحدث؟!

تبسم إليه (توفيق) وهو يجيبه:

- لقد اتفقت مع (ياسر) بك على كل شيء وصححت خطئي.

حتى أنت سوف تتركني.

قالها وهو ينفجر في البكاء واضعًا رأسه بين ذراعي أبيه، تحدث (ياسر) قائلًا:

- لا تحزن يا بني يكفي أن أباك كفَّر عن ذنوبه كلها بالنهاية.

قالها ثم أمر رجاله أن يأخذوه معهم في سيارة خاصة ويعاملوه معاملة حسنة ثم تابع:

- لقد أخبرتني عائشة بكل شيء وأنا أعلم أنك بريء من كل التهم ومتأكد أنك ستصبح رجل صالح منذ الآن.

قاطعته ابنته قائلة:

- وأنا سوف أبقى بجواره.

حدق إليها أبوها لتتابع:

- نعم سوف نتزوج يا أبي أنا قدَّمت لك المساعدة إلى النهاية حتى أجعلك سعيدًا، أتمنى أن توافق.

عندها تحدث (توفيق) قائلًا:

- (آدم) تغيَّر كثيرًا بفضل ابنتك، أرجوك لا تفرق بينهم حتى أطمئن عليه.

قبل أن يعقب (ياسر) وجد رجال الشرطة تلقي القبض على (سليمان) وزميله ليمنعهم متحدثًا:

- لا هؤلاء كانوا يساعدوني اتركوهم.

ثم نظر إلى (آدم) وأردف:

- ابنتي أمانة معك، فأنا ليس لدي غيرها.

أومأ (آدم) متبسمًا لتعانقه ابنته فالتفت (توفيق) حوله وهو يسأل:

- أين (يعقوب)؟!

**

يوم التحقيق مع توفيق الشمندري

- أين القطع الأثرية؟

نظر (توفيق) إلى أسفل قليلًا ثم أجابه:

- الوحيد الذي كان يعلم بمكانها يدعى ضياء وقُتل.
- أنت بالطبع تعلم بمكانهم لا داعي للكذب طالما اعترفت يا توفيق.

لم يتحدث وظلت رأسه تسقط إلى أسفل ببطءٍ وسقط أرضًا، نهض وكيل النيابة تاركًا كرسيه متوجهًا نحوه محاولًا إيقاظه فوجده لفظ أنفاسه الأخيرة، أمر رجاله بطلب سيارة الإسعاف لتحويله إلى المشفى جاءت سيارة الإسعاف وأخذوه فانطلق (ياسر) وراءهم حتى يطمئن عليه بنفسه، وصلوا جميعًا ليحملوه إلى غرفة الاستقبال بالداخل و (ياسر) ينتظر بالخارج حتى خرج الطبيب وأبلغه أنه قد مات، ازدرد ريقه محدقًا إليه متسائلًا:

- هل أنت متأكد؟!

أومأ الطبيب وتابع:

- سوف أحضر لك التقرير، فأنا أعلم أنه متهم في عدة قضايا ولا بُدَّ من خروج جثمانه بتقرير الطب الشرعي.

جلس (ياسر) مرة أخرى ناظرًا أرضًا بيأس ثم رمقه رافعًا حاجبه متسائلًا:

- هل تعرفه؟

- مَن؟

- توفيق؟!

- نعم أعرفه الكل يتحدث عنه وكيف تم القبض عليه.

قالها وارتدى نظارته حتى أردف:

- معذرة سوف أعود إلى الداخل لأكمل عملي.

- هل يمكنني مشاهدته؟!

- لا مانع تفضل معي.

نهض (ياسر) وأخذ نفسًا مرددًا:

- أشكرك جزيلًا.

أشار له الطبيب بالدخول معه فاتحًا له الباب، تقدم (ياسر) بخطوات بطيئة إلى الداخل حتى توقف أمام جسده نازعًا عن رأسه الغطاء متحدثًا إليه بداخله:

- ماذا ترى الآن يا توفيق هل أخذت معك شيئًا؟؟ هل نفعك المال أو أبناؤك.

انتهى وهو يضع على رأسه الغطاء مرة أخرى، وذهبَ.

**

يقف (آدم) وهم يضعون جثمان أبيه داخل القبر، ناظرًا أمامه بجمود و (نورين) تقف بجواره تربت على كتفه حتى أتى (ياسر) معتذرًا عن تأخيره ثم همس في أذن (آدم):

- أعلم أنه ليس الوقت المناسب ولكن يجب أن تسافر حتى أستطيع تسليم القطع.

نظر إليه (آدم) بحزن ليجيبه:

- سنتزوج أنا ونورين ونذهب الليلة، أما بخصوص القطع أخبرهم أنك وجدتها بمنزلنا القديم بقرية السلام.

أومأ (ياسر) متحدثًا:

- أشكرك يا بني، صحيح أين أخوك الكبير.

- لا أعلم، ولكنه لم يتحمل القبض على أبينا بمجرد أن أكتشف أنه على قيد الحياة.

ربت (ياسر) على كتفه وذهب.

**

النهاية

بعد سفرهم بيومين

استيقظت (نورين) وهي تنظر بجوارها لترى (آدم) يغطّ في نومٍ عميقٍ فظلت تتبسم إليه متأملة ملامحه ما إن فتح عينيه حتى وجدها تنظر إليه فتبسم لها ابتسامة واسعة وهو يعانقها بقوة

قائلًا:

- أتعلمين أنتِ أجمل من فتيات تلك البلد.

ضحكت (نورين) وهي تقبله لترد:

- أنت تكذب، ولكني أصدقك.

ثم اعتدلت وهي تسأله:

- أخبرني صحيح لماذا اخترت بيروت تحديدًا لنقضي بها شهر العسل؟

عانقها مرة أخرى وهو يجيبها بصوت منخفض:

- لأنني كنت أتمنى أن أزورها منذ زمن ولم أجد فرصة، أريد أن أحقق كل أمانينا ونحن معًا.

وضعت قبلة أخرى على خده هامسة:

- أحبك.

- وأنا أيضًا أحب.....

قاطعته وهي تشهق اليوم البث المباشر لوزارة الآثار وهي تكرم أبي على إعادة القطع الأثرية.

اعتدل (آدم) وهو يضحك ليجيبها:

- هيَّا لنشاهد.

نهضت (نورين) وهي تمسك بجهاز تحكم التلفاز، وظلت تقلب حتى توقفت عند القناة التي سوف تعرض الاحتفالية وعادت بجواره جالسة كالأطفال منتظرة تكريم أبيها، لتأتي نشرة الأخبار معلنة القبض على السارق الذي قام بسرقة المتحف منذ عشرة أعوام، ولكنه توفي أثناء التحقيق، لينظر (آدم) إلى أسفل مرددًا:

- رحمك الله يا أبي، لقد ارتحت.

أمسكت (نورين) بيديه قائلة:

- لم أقصد أن أذكّرك بوفاة أبيك.

تبسم لها وهو يتابع ما يُقال لتكمل النشرة:

- وقد أوضح مفتش المباحث (ياسر عز الدين) أنه لم يجد أيَّ أثر للقطع المسروقة ولكنه عزم على إتمام تلك القضية وقد أتمها وقد كافأته الوزارة بالترقية.

حدق (آدم) إلى (نورين) والتي نظرت له بنفس الدهشة ليتحدث هو ساخرًا:

- هكذا أنا وأنتِ متساويان أبي سارق وأبوكِ سارق.

دفعته (نورين) وهي تنهض لتمسك بهاتفها لتفتحه رغم أن (آدم) كان أغلقه منذ لحظة سفرهم حتى لا يفسد عليهم أحدٌ لحظاتهم، طلبت أباها واضعة الهاتف على أذنها لتسأله بمجرد أن وافق على المكالمة:

- أبي ماذا حدث، أين التكريم؟!

صمت (ياسر) قليلًا ثم أجابها الأمر أصبح خارج يدي يا ابنتي فهم أحرار في القطع طالما قمت بتسليمها لهم، يسرقونها يعيدونها ليس لي شأن.

أومأت (نورين) بحزن متفهمة ليتابع أبوها:

- أعطِني (آدم) من فضلك.

مدت يدها بالهاتف ليأخذه (آدم) قائلًا:

- مرحبًا يا أبي الثاني.

انفعل (ياسر) بصوت منخفض وهو يقول:

- أنت تفعلها معي يا آدم؟!

ضحك (آدم) وهو يرد:

- هذا أقل واجب فابنتك أمانة عندي كما أوصيتني.

قالها وهو يقبل (نورين) والتي تبسمت له ليتحدث (ياسر) بنفس غضبه:

- أنا فعلت مثلما طلبت مني ولم أخبر أحدًا بفعلتك الحقيرة ولكن إياك أن تمس ابنتي بسوء.

أجابه (آدم) فرحًا بصوت عال:

- عظيم، أنت أب عظيم وكما أخبرتك ابنتك في قلبي.

أنهى المكالمة وهو ينهض تاركًا (نورين) في الغرفة لطلب أخيه (يعقوب) متحدثًا إليه بصوت منخفض:

- أخبرني ماذا فعلت هل سلمت القطع؟

- نعم وحولت المبلغ في حسابك أعطيتك النصف وأنا الربع وسليمان الربع.

- عظيم يا (يعقوب) عظيم.

انتظر مكالمتي لتجهيز الجواز الأخير.

انتهى وهو يضع أمامه ورقة، أومأ الرجل دون أن يتحدث لينهض (آدم).

التقط (يعقوب) الورقة ليضعها بين صفحات الجرنال وبدأ يقرأ.

«(يعقوب) أصغِ إليَّ جيدًا، أنا علمت كل شيء، اذهب إلى منزل (ياسر) فهو محتفظ بالقطع المزيفة للآثار في دولابه كما علمت من جهاز التنصت خذهم وابحث عن سليمان واذهبوا إلى منزلي خريطة المنزل من الداخل مرفقة بالورقة ادرسوها جيدًا».

توقف أمام باب المنزل وقام بفتحه بواسطة أداة حادة ثم بدأ يفتش بداخله حتى دلف إلى إحدى الغرف فاتحًا دولابها ليجد حقيبة سوداء جلس بها على الفراش وقام بفتحها فوجد بداخلها القطع الثلاث ليغلق الحقيبة مرة أخرى وغادر الشقة مغلقًا الباب خلفه.

«بعدها قم بفتح الخزنة، مكانها وكلمة المرور سوف تجدهم أسفل الورقة، بدل القطع الأصلية وضع مكانهم القطع الزائفة واضغط على تشغيل الإنذار وأنا سوف أخبر ابنته بمكانها وكلمة المرور حتى إذا حاول أبوها فتح الخزنة التهمه الكلب (سليمان) يعلم جيدًا طريقة تهريب القطع وتسليمها في بيروت، ابقَ معه».

انتهى (يعقوب) من قراءة الورقة وذهب.

**

هبطت الطائرة بمطار بيروت ليحمل (نبيل) حقيبته خارجًا منها حتى توقف على الدرج الأعلى من السلم مرتديًا نظارته الشمسية واضعًا الهاتف على أذنه للحظات ثم تحدث:

- هل لاحظ أحدٌ منهم أن مشتري القطع هو من رجالي؟!

صمت قليلًا مستمعًا إلى الإجابة ثم تابع:

- اتركهم حتى يطمئنوا وسوف أبلغك ماذا تفعل.

بعد وفاة (توفيق)

قام (ياسر) بتوصيلهم إلى المطار وغادروا البلد، ثم ذهب إلى منزل قديم كان ملكًا لوالده فهو يخبئ القطع فيه، دلف إليه متوجهًا نحو الأريكة جاثيًا على ركبتيه منتزعًا من أسفلها الحقيبة التي تحتوي على القطع الأثرية، وابتسم بفخر فهو سيفاجئ الوزارة بأكملها غدًا، صحيح أبلغهم أنه لم يعثر على المسروقات حتى ينتهي من كتابة مذكرة تبرئة (آدم) من التهم بما أنه أصبح زوج ابنته ولكنه غدًا سوف يقدمها لهم على أنه وجدها في مكانٍ أشار إليه (توفيق) بعيد كل البعد عن منزل (آدم)، أخرج القطع وظل يتأملهم قليلًا حتى حدق فيهم بغضب ثم أغلق الحقيبة مرة أخرى ناهضًا وخرج من المنزل راكضًا إلى سيارته، ركبها متوجهًا إلى منزله حتى وصل فخرج مترجلًا منها بسرعة صاعدًا الدرج فاتحًا باب منزله

وواصل ركضه إلى دولابه وقام بفتحه ليجد ورقة مثبتة بقطعة علكة سوداء فالتقطها وبدأ يقرأ:

«مرحبًا بأبي الثاني، في البداية يجب أن أقسم لك إنني أُحب ابتك بصدق، ولكن ثأري معك أنت؛ لذلك قمت بتهريب القطع التي جننت من أجلها أنت، اثبت على أقوالك أنك لم تجد المسروقات وبرأني من كل التهم كما وعدتني، ليس لشيء ولكن لأنك مجبر، فأنا أصبحت زوجًا لا بنتك، نعم أعلم ما يدور في ذهنك الآن، إذا فكرت أن تخبر (نورين) بما حدث سوف أقتلها لأنني لم أنسَ بعد تلاعبها بي أما إذا كتمت السر بيتنا سوف أعاملها أفضل منك فلا تنسَ أنها معي في بلدة أخرى فلا تخاطر بروحها، وفي النهاية أعتذر لك لأنني عندما ذهبت لأحضر المأذون اقتحمت منزلك ووضعت لك رسالتي».

ترك الورقة تسقط من يديه ملقيًا بجسده على الكرسي ممسكًا بهاتفه ليتحدث إلى (آدم)، ولكن هاتفه مغلق.

<u>بعد يومين.</u>

لم يخرج (ياسر) من منزله يهاتف ابنته في كل دقيقة حتى يطمئن عليها فهو رغم وعد (آدم) له لا يأمن عليها معه، بينما لا يستطيع إخبارها بما حدث حتى لا تتعرض للخطر، ترك الفراش متجهًا إلى شرفة منزله مفكرًا لعله يجد خطة يخلص بها ابنته حتى استمع إلى رنين هاتفه فأمسك به ليجد المتصل مجهول، وافق على المكالمة واضعًا الهاتف على أذنه، وقبل أن يتحدث استمع المتصل يقول:

- كيف حالك يا ياسر الأمر صعب صحيح؟! كل ما حدث كان في صالحنا وليس في صالحك، هل تظن أنني أستسلم لك بتلك السهولة، كان بإمكاني عدم مهاتفتك، ولكني أتحدث إليك الآن لأخبرك بأنني على قيد الحياة فلا أنت نجحت في القبض عليَّ ولا حصولك على القطع.

- توفيق؟!

- الشمندري من فضلك.

ماذا ترى الآن يا توفيق؟ هل أخذت معك شيئًا؟! هل نفعك المال أو أبناؤك؟!

وضع على رأسه الغطاء مرة أخرى وذهب.

ظلَّ يرمقه الطبيب حتى غادر فأغلق الباب خلفه عائدًا إلى (توفيق) رافعًا الغطاء من على جسده مخرجًا حقنة من جيبه وغرسها في معصمه ثم ظلَّ يضربه على خده برفق مرددًا:

- توفيق استيقظ.

فتح (توفيق) عينيه محاولًا استيعاب ما يحدث حتى تابع الطبيب:

- ظنوا أنك مُتَّ وأنا سوف أكتب تقريرًا بذلك، قل لي كم ستدفعه لي مقابل الخروج الآمن من تلك البلدة؟

ظلَّ (توفيق) ينظر إليه محوّلًا ناظريه إلى بعيد ثم تحدَّث بصوت مرهق:

- أي مبلغ تطلبه، ولكن أخبرني لماذا تفعل معي ذلك؟

اقترب الطبيب من رأسه هامسًا:

- طلب مني رجل يُدعى نبيل بالتأكد من أنك توفيت بالفعل وليست خدعة منك بتناول أحد العقاقير، وعندما أخبرته أنك على قيد الحياة أراد تسليمك له مقابل خمسة ملايين جنيه، ولكننا سوف نتفق اتفاقًا آخر؛ سوف نخبره أنك ميت بالفعل ونقوم بتبديل جثمانك بآخر ميت مقابل عشرة ملايين جنيه، سوف تأتي سيارة وتأخذك إلى مكان آمن، وعندما تدفع لهم المال ستصبح حُرًا وستبحر بك سفينة خارج البلاد.

**

- حكمت المحكمة في القضية رقم 2020/120 جنايات بانقضائها لموت المتهم بعد اعترافه.

قررنا غلق القضية مرة أخرى ولا تفتح إلا بقرار من المحكمة إذا ظهرت أطراف أخرى، رفعت الجلسة.

«قبل أن تضع خطتك، تأكد أولًا أنك خارج المصيدة»

(تمت..)